الأمثال

في الحديث النبوي

د. موزه أحمد محمد الكور

المدرس بقسم التفسير والحديث

كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية

جامعة قطر

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على من أرسله ربه رحمة للعالمين ، وبعد:

فقد استعان النبي صلى الله عليه وسلم في قيامه بمهمة التبيين التي كلفه بها ربه عز وجل بشتى أساليب ووسائل الإيضاح والتعليم، وفي الذروة من تلك الأساليب يتألق أسلوب ضرب المثل. واستعمال الأمثال في البيان النبوي لم يأت لغاية فنية بحتة يحرص عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم كغرض أدبي يزين بها الكلام، وإنما جاءت بهدف إبراز المعاني في صورة مجسمة لتوضيح الغامض، وتقريب البعيد، وإظهار المعقول في صورة المحسوس، كما أن الأمثال تحوي لوناً من ألوان الهداية التي تغري النفوس بفعل الخير، وتحضها على البر، وتدفعها إلى الفضيلة، وتمنعها عن المعصية والإثم ومن ثم جرت على لسان النبي صلى الله عليه وسلم طائفة من الأمثال تصور وتشبه وتجسم بالكلمات البليغة معاني في أمور العقيدة والعبادات والأخلاق والمعاملات.

فينبغي أن نتأمل جلال ما تضمنته الأمثال النبوية من معاني ونستنبط عظائم حكمها ونستضيء بها في شتى دروب حياتنا.

وهذا البحث محاولة لدراسة الأمثال النبوية تحدثت فيه عن:

- المثل في اللغة.
- المثل عند البلاغيين.
- المثل في كتب الأمثال.
- أهمية الأمثال.
- الأمثال النبوية من حيث: أهميتها- أغراضها- أنواعها.
- عرض وتحليل لطائفة من الأمثال النبوية تتعلق بموضوع الدعوة الإسلامية - فضائل الأعمال - الزهد.

وأرجو الله أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة وأن ينفع بها وألا يحرمني ثوابه.

أولاً : معنى المثل :

نالت الأمثال اهتمام اللغويين والبلاغيين، والذين كان لهم فضل السبق في جمعها ودراستها، لذا كان من الطبيعي أن نعود إلى كتب اللغة، لنتعرف على المعنى اللغوي للأمثال وكتب البلاغة والأمثال، لنتبين مدى العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي.

(١) المثل في معاجم اللغة:

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية للتعرف على دلالة اللفظة لغة نجد أن الطابع العام لهذه المعاجم التكرار، فكلها تقريباً تحتوي على الشروح عينها لمادة «مثل» لذا رأينا أن أفضل عرض لهذه المادة، هو تلخيص ما ورد في هذه المعاجم عن معناها.

فالمثل في الأصل بمعنى النظير ثم نقل منه إلى القول السائر أي الفاشي الممثَّل مضربه بمورده(١). والمثل: الشيء الذي يضرب لشيء مثلاً فيجعل مثله. وتمثل فلان: ضرب مثلاً، وتمثل بالشيء ضربه مثلاً.

ويأتي المثل بمعنى الصفة ومنه قوله تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾(٢) فمثلها: هو خبرها، وقيل: هو صفتها.

وبمعنى العبرة والعظة كقوله تعالى: ﴿فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين﴾(٣) مثلاً: أي عبرة يعتبر بها المتأخرون.

ويأتي أيضاً بمعنى الآية، قال تعالى في صفة عيسى:

---

(١) المراد بالمورد: الحالة الأصلية التي ورد فيها الكلام وبالمضرب : الحالة المشبَّهة بها .انظر كشاف اصطلاحات الفنون ١٤٤٩/٢

(٢) سورة الرعد آية: ٣٥.

(٣) سورة الزخرف آية: ٥٦.

﴿وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل﴾(١) أي آية تدلهم على نبوته.

وبمعنى الحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة ومنه قوله تعالى: ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً﴾(٢) أي حالهم العجيبة كحال الذي استوقد ناراً. وكذلك قوله تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾(٣) أي وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم أخذ في بيان عجائبها.

والمثل أيضاً: الحجة والحديث.

والمثال: المقدار وهو من الشبه، والمثل ما جعل مثالاً أي مقداراً لغيره يحذى عليه، والمثال أيضاً: الفراش والنمط والقصاص. والأمثل: الأفضل، وأماثل الناس: خيارهم ومنه الطريقة المثلى. والتمثال: اسم للشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله، وأصله من مثلت الشيء بالشيء إذا قدرته على قدره.

والمثلة: العقوبة، قال تعالى: ﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات﴾(٤)، أي يطلبون العذاب في قولهم: ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء﴾(٥)، وقد تقدم من العذاب ما هو مُثلة، وما فيه نكال لهم لو اتعظوا.

والماثل: القائم يقال: مَثَل الشيء ومَثُل: قام منتصباً، ومَثَل بين يديه مُثولاً: أي انتصب قائماً، وفي الحديث: «من أحب أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار»(٦)

---

(١) سورة الزخرف آية: ٥٩.

(٢) سورة البقرة آية: ١٧.

(٣) سورة الرعد آية: ٣٥ وتفسير المثل بالصفة والعبرة والقصة ذات الغرابة جاء في أكثر كتب التفسير. انظر على سبيل المثال الكشاف ١/ ١٩٥، ٣/ ٤٧٨، ٤٩٣، وروح المعاني ١/ ١٦٣، ١٣/ ١٦٢.

(٤) سورة الرعدآية: ٦.

(٥) سورة الأنفال آية: ٣٢.

(٦) انظر معجم مقاييس اللغة ٥/ ٢٩٦-٢٩٧- الصحاح ٥/ ١٨١٦- القاموس المحيط

(٢) المثل عند البلاغيين:

أما علماء البلاغة، فمنهم من فسر المثل بالتمثيل كالجرجاني فهو عنده التمثيل مطلقاً ماجاء منه بركنيه، وما جاء على سبيل الاستعارة. يقول: وكل ما لا يصح أن يسمى تمثيلاً فلفظ المثل لا يستعمل فيه(١). وقال أيضاً: وعلى الجملة فينبغي أن تعلم أن المثل الحقيقي، والتشبيه الذي هو الأولى بأن يسمى تمثيلاً لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح ما تجده لا يحصل لك إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر(٢). ومثّل له بقوله تعالى: ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾(٣)

وقال فيما جاء على سبيل الاستعارة : وأما التمثيل الذي يكون مجازاً لمجيئك به على حد الاستعارة فمثاله: قولك للرجل يتردد في الشيء بين فعله وتركه: (أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى) فالأصل في هذا أراك في ترددك كمن يقدم رجلاً ويؤخر أخرى ثم اختصر الكلام وجعل كأنه يقدم الرجل ويؤخرها على الحقيقة(٤).

وسمى أبو هلال العسكري المثل المماثلة وعرفها بقوله: أن يريد المتكلم العبارة عن معنى، فيأتي بلفظة تكون موضوعة لمعنى آخر، إلا أنه ينبئ إذا أورده عن المعنى الذي أراده كقولهم: فلان نقي الثوب يريدون به أنه لا عيب فيه وليس موضوع نقاء الثوب للبراء من

ص: ١٣٦٤- لسان العرب: ١١/ ٦١٠ - ٦١٦، والحديث رواه أبو داود كتاب: الأدب- باب: في قيام الرجل للرجل ٤/ ٣٥٨ والترمذي كتاب الاستئذان والآداب - باب: ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل ٨/ ٣٠ وقال : حديث حسن.

(١) أسرار البلاغة ص: ٧٧.

(٢) المرجع السابق ص: ٨٧.

(٣) سورة يونس: آية: ٢٤.

(٤) دلائل الإعجاز ص٦٨-٦٩.

العيوب وإنما استعمل فيه تمثيلاً وفي القرآن: ﴿كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً﴾ فمثّل العمل ثم إحباطه بالنقض بعد الفتل(١). وتحدث الباقلاني في إعجاز القرآن بما لا يختلف عما تحدث به أبوهلال العسكري(٢).

كما فسر المثل بالشبه أيضاً أبو عبيد في مجاز القرآن(٣) فقال في قوله تعالى: ﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾(٤) واحدتها مثلة ومجازها مجاز الأمثال، وأكد ابن قتيبة معنى الشبه وعده أصلاً للمثل فقال: المثل بمعنى الشبه يقال هذا: مَثَل الشيء ومِثْله كما يقال: شَبَه الشيء وشِبْهه قال تعالى: ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾ أي شبه الذين كفروا شبه العنكبوت. وقال تعالى: ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾ أي شبههم بالحمار(٥). ويقول قدامة بن جعفر: أما الحكماء والأدباء فلا يزالون يضربون الأمثال، ويبينون للناس تصرف الأحوال بالنظائر والأشباه والأشكال، ويرون هذا النوع أنجح مطلباً وأقرب مذهباً ولذلك قال الله عز وجل ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾(٦). فهو يرى أن الأمثال الأشباه والنظائر.

بينما ذهب فريق آخر من البلاغيين إلى حصر الأمثال في الاستعارة التمثيلية كالسكاكي إذ يقول: ثم إن التشبيه التمثيلي متى فشا استعماله على سبيل الاستعارة لا غير سمي مثلاً(٧). وتابعه في

---

(١) الصناعتين ص: ٣٦٤ و الآية من سورة النحل آية: ٩٢.
(٢) إعجاز القرآن ١/ ١١٥.
(٣) مجاز القرآن ١/ ٣٢٣.
(٤) سورة الرعد آية : ٦.
(٥) تاويل مشكل القرآن ١/ ٤٩٦ والآية الأولى من سورة العنكبوت آية ٤١. والثانية من سورة الجمعة آية ٥.
(٦) نقد النثر: ص/ ٦٦. والآية من سورة الروم آية: ٥٨
(٧) مفتاح العلوم ص/ ٣٤٩.

هذا جلال الدين القزويني(١).

وبالرغم من ارتباط المثل بالتشبيه والتمثيل ارتباطاً وثيقاً لكن لايمكن حصره في الاستعارات التمثيلية فقط. فالذي يتصفح كتب الأمثال يجد أنها تضمنت عدداً كبيراً من الأمثال لا يمكن عدها بحال من الأحوال من قبيل الاستعارات التمثيلية منها قولهم (ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل) (٢) (إنه لاشبه به من التمرة بالتمرة) (٣) (قرينك سهمك يخطئ ويصيب)(٤).

وهناك أمثال لم يذكر فيها لفظ المشبه ، وإنما ذكرت فيها الأداة ووجود أداة التشبيه لا يعين على عدها استعارة تمثيلية.

ومن هذه الأمثال: (كالقابض على الماء) (٥) (كطالب القرن جدعت أذنه) (٦) إلى جانب الأمثال الحكمية التي لم تقم على التشبيه أصلاً ، ولا سبيل إلى إلحاقها به أو حملها عليه، يضاف إليها ما ورد من الأمثال على صيغة أفعل(٧) . والقرآن الكريم أطلق لفظ المثل على بعض التشبيهات غير التمثيلية كقوله تعالى: ﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون﴾(٨) كما أن أكثر أمثاله ذكر فيها المشبه صراحة إلى جانب المشبه به كقوله تعالى: ﴿الم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾(٩)

وهكذا نرى أن مصطلح المثل تقلب عند علماء البلاغة بين

---

(١) التلخيص ص/٣٢٢-٣٢٤.

(٢) مجمع الأمثال ١/١٣٧. والدخل : العيب الباطن.

(٣) المرجع السابق ١/٤٤.

(٤) المرجع السابق ٢/١٢٤.

(٥) المرجع السابق ٢/١٤٩.

(٦) المرجع السابق ٢/١٣٩.

(٧) انظر: أمثلة لها في مجمع الأمثال ١/٢١٦ -٢٢٩.

(٨) سورة هود آية: ٢٤.

(٩) الأمثال في ألقرآن الكريم د.محمد الفياض ،ص:١٢٧-١٣٠ و الآية من سورة إبراهيم آية: ٢٤.

التشبيه والتمثيل والاستعارة التمثيلية ومع ذلك لم يخرجوا به عن المشابهة والمماثلة.

(٣) المثل في كتب الأمثال:

وفي كتب الأمثال نجد الصورة عينها التي وجدناها في معاجم اللغة مع فارق يخرج بمادة مثل من افق اللغة إلى المعنى الاصطلاحي. ولعل أهم ما يطالعنا من الأقوال التي جاءت في هذه الكتب قول أبي عبيد القاسم بن سلام: الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام ، وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح(١).

فهو يرى أن الأمثال هي الحكمة الناتجة عن التجربة، التي يعبر عنها بطريق غير مباشر.

وأكد ابن السكيت على الناحية التمثيلية في المثل وعدم المباشرة في التعبير فقال: المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ شبهوه بالمثال الذي يُعمل عليه غيره(٢).

وأما المبرد فقد ذهب إلى أن المثل مأخوذ من المثال، وهو قول يشبه به حال الثاني بالأول والأصل فيه التشبيه فقولهم: مَثُل بين يديه إذا انتصب معناه "أشبه الصورة المنتصبة، وفلان أمثل من فلان: أي أشبه بما له من الفضل. والمثال القصاص لتشبيه حال المقتص منه بحال الأول فحقيقة المثل ما جُعل كالعلم للتشبيه بحال الأول(٣).

وبهذا يكون المبرد قد ذكر المعنى اللغوي والاصطلاحي والارتباط بينهما مع التأكيد على المشابهة في المصطلح ذاته.

وانطلق الميداني من الأصل الاشتقاقي للفظ المثل ليصل إلى

---

(١) الأمثال ، ص : ٣٤

(٢) مجمع الأمثال - المقدمة- ص: ٦

(٣) المرجع السابق - المقدمة- ص: ٥.

المدلول الإصطلاحي فقال: المثل ما يمثل به الشيء: أي يشبه فصار المثل اسماً مصرحاً لهذا الذي كان يضرب، ثم يرد إلى أصله الذي كان له من الصفة فيقال: مَثَلُك ومثل فلان: أي صفتك وصفته ومنه قوله تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ أي صفتها، ولشدة امتزاج معنى الصفة به صح أن يقال: جعلت زيداً مثلاً، والقوم أمثالاً(١).

كما أشار الزمخشري في المستقصي إلى معنى المثل لغة واصطلاحاً فقال: المثل في لغة العرب بمعنى المثل كالشَبَه والشِبْه ثم سميت هذه الجملة المقتطعة من وصلها، أو المرسلة بذاتها المتسمة بالقبول، المشتهرة بالتداول مثلاً لأن المحاضر بها يجعل موردها مثلاً ونظيراً لمضربها(٢).

ثانياً : ما معنى ضرب المثل؟

ذكرت لضرب المثل معان عدة:

- فقد يكون مشتقاً من قولهم: ضرب فلان في الأرض إذا توغل فيها وأبعد في أقاصيها فيكون معنى ضرب المثل جعله ينتشر ويذيع ويسير في البلاد (٣).

- أو يكون المراد من ضرب المثل صنعه وإنشاءه فيكون مشتقاً من ضرب اللبن وضرب الخاتم.(٤)

- وقد يكون ضرب المثل نصبه للناس بإشهاره لتستدل عليه خواطرهم كما تستدل على الشيء المنصوب نواظرهم واشتقاقه حينئذ من ضربت الخباء إذا نصبته وأقمت عمده(٥).

---

(١) المرجع السابق ص:٦ والآية من سورة الرعد آية: ٣٥.
(٢) المستقصي : - المقدمة- ص٣ - ٤.
(٣) تلخيص البيان - ص :١٠٥
(٤) الكشاف ١/ ٢٦٤
(٥) تلخيص البيان ص : ١٠٥.

وذكرت في كتب التفسير معان أخرى لضرب المثل منها: التبيين(١)، التمثيل(٢)، الجعل(٣)، الإيراد(٤).

ثالثاً : أنواع المثل:(٥)

١ - **المثل الموجز السائر:** وهو كلمة قيلت في مناسبة ما ثم تناقلتها ألسن الناس جيلاً إثر جيل، وهو إما شعبي لا تكلف فيه، ولا تقيد بقواعد النحو، وإما كتابي صادر عن ذوي الثقافة العالية كالشعراء والخطباء.

٢ - **المثل القياسي:** هو سرد وصفي أو قصصي أو صورة بيانية لتوضيح فكرة ما عن طريق التشبيه والتمثيل ويسميه البلاغيون التمثيل المركب، فإنه تشبيه شيء بشيء لتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين إلى الآخر، أو اعتبار أحدهما بالآخر لغرض التأديب والتهذيب أو التوضيح والتصوير. وهذا النوع فيه إطناب إذا قورن بسابقه ويجمع بين عمق الفكرة وجمال التصوير.

٣ - **المثل الخرافي:** وهي حكاية ذات مغزى على لسان غير الإنسان، لغرض تعليمي أو فكاهي.

رابعاً : أهمية الأمثال:

للأمثال مكانة هامة، نظراً لما لها من وقع عجيب في الآذان، وتأثير في النفوس والقلوب، فهي تقرب المعاني إلى الذهن، وتعطي السامع الصورة بأقصر لفظ وأحسنه، وسنذكر بعض ما قيل فيها لنتبين أغراضها وأهدافها وخصائصها وميزاتها وما حظيت به من منزلة رفيعة.

---

(١) الكشاف ١/ ٤٢٠ ، وروح المعاني١٧/ ٢٠٠.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٦٤ ، وروح المعاني٢٢/ ٢٢٠
(٣) روح المعاني ١٤/ ١٩٣.
(٤) المرجع السابق ٢٨/ ١٦٢.
(٥) الأمثال في القرآن الكريم لابن قيم الجوزيه ص :١٩-٢٠

عدها ابن سلام حكمة العرب ثم أشار إلى خصائصها وهي: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه(١) . وابن المقفع يرى في المثل إيضاحاً للمعنى ومجالاً للتوسع في الحديث فيقول: إن جُعل الكلام مثلاً كان ذلك أوضح للمنطق، وأبين في المعنى، وآنق للسمع، وأوسع لشعوب الكلام(٢). وأبرز الزمخشري جوانب من أهمية الأمثال فقال: هي قصارى فصاحة العرب العرباء، وجوامع كلمها، ونوادر حكمها أوجزت اللفظ، فأشبعت المعنى، وقصرت العبارة فأطالت المغزى، ولوحت فأغرقت في التصريح، وكنت فأغنت عن الإفصاح (٣) . وذهب الحكيم الترمذي إلى أن الأمثال نموذجات الحكمة، لما غاب عن الأسماع والأبصار، تهدي النفوس بما أدركت عياناً(٤).

ويرى ابن الأثير أنها رموز وإشارات، يستدل بها على المعاني لذلك صارت من أوجز الكلام وأكثره حسناً(٥) .

وأما الباحثون المحدثون فإلى جانب تأكيدهم على ما ذكره القدماء من أهمية الأمثال، وما لها من تأثير على النفوس، وإشارتهم إلى خصائصها وأغراضها مثل قول أحمد أمين: الأمثال نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ، وحسن التشبيه وجودة الكناية (٦) . فقد ركزوا على جانب آخر، وهو أهمية الأمثال في دراسة حياة الأمم، لكونها تنبع من تجربة الشعب واحتياجاته يقول أحمد أمين أيضاً في إبراز هذا الجانب: أمثال كل أمة مصدر للمؤرخ والأخلاقي والاجتماعي، يستطيعون منها أن يعرفوا كثيراً من أهداف الأمم، وعاداتها ونظرتها إلى الحياة لأن الأمثال عادة وليدة البيئة التي نشأت

---

(١) الأمثال ص: ٣٤.
(٢) الأدب الصغير ص:٢٧.
(٣) المستقصي :المقدمة ص : ب – ج .
(٤) الأمثال من الكتاب والسنة ص:١٢
(٥) المثل : السائر:١/ ٦٣.
(٦) قاموس العادات ص : ٦١ .

فيها. كما بيّن أن مزية الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب.(١)

فأشار بذلك إلى كون الأمثال، مصدراً من المصادر الهامة، لدراسة الناحية الأخلاقية والاجتماعية للأمم، ولكونها لا تنبع من طبقة خاصة، لها ثقافة معينة أو بيئة خاصة، فإنها اكتسبت بذلك، أهمية كبيرة لدلالتها المباشرة، على حقيقة عادات الأمة، وتقاليدها ومحصول خبرتها، وتجاربها في الحياة.

خامساً : الأمثال في الحديث النبوي :

(أولاً) : المؤلفات في أمثال الحديث

١ - الأمثال النبوية لأبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري المتوفى سنة ٣٩٥هـ وقيل بعدها، وأشار الميداني إلى هذا الكتاب في مقدمة كتابه مجمع الأمثال فقال: وأما الكلام النبوي من هذا الفن -يقصد المثل- فقد صنف العسكري فيه كتاباً برأسه ولم يال جهداً في تمهيد قواعده وأساسه(٢).

٢ - الأمثال النبوية لأبي الحسن علي بن سعيد العسكري المتوفى سنة٣١٥هـ وقيل: ٣١٣ وذكر صاحب الرسالة المستطرفة، أن مؤلفه جمع فيه ألف مثل عن النبي -صلى الله عليه وسلم- (٣).

٣ - أمثال الحديث المروية عن النبي-صلى الله عليه وسلم-(٤) للحسن بن خلاد الرامهرمزي المتوفى سنة٣٦٠هـ اشتمل على مائة وأربعين مثلاً، موزعة على سبعة أجزاء صغيرة، وجاء فيه المولف بالأحاديث مسندة مع الشرح، وأكثر من الاستشهاد عليها بما يماثلها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأبيات الشعرية.

---

(١) المرجع السابق ص: ٦١.

(٢) مجمع الأمثال المقدمة ١/ ٢ والرسالة المستطرفة ص: ٤١

(٣) الرسالة المستطرفة ص : ٤٢.

(٤) وهو مطبوع بتحقيق عبدالعلي الأعظمي -الدار السلفية الهند- وطبعة أخرى علق عليها أحمد عبدالفتاح تمام -مؤسسة الكتب الثقافية- وهي المستخدمة في البحث.

٤ - الأمثال والأوائل لأبي عروبة الحسين بن محمد السلمي المتوفى سنة٣١٨هـ(١).

٥ - الأمثال من الكتاب والسنة للحكيم الترمذي (٢) المتوفى سنة٢٨٥هـ وهو مقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول لأمثال القرآن، والثاني: لأمثال الحديث، والثالث: لأمثال الحكماء، ويذكر مصنفه الأحاديث، محذوفة الأسانيد كما لم يعن ببيان درجتها.

٦ - الأمثال في الحديث النبوي لأبي الشيخ الأصفهاني المتوفى سنة٣٦٩هـ(٣) وهو مقسم إلى قسمين: الأول في الأمثال السائرة، والثاني في أمثال التمثيل ، وألحق في آخره أمثالاً لبعض الحكماء، ويسرد مؤلفه الأمثال مسندة دون التعرض لها بالشرح أو بيان درجتها.

٧ - الشهاب في المواعظ والآداب، لمحمد بن سلامة القضاعي المتوفى سنة ٤٥٤هـ وقد بين مصنفه منهجه في الكتاب فقال: جمعت في كتابي هذا مما سمعته من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألف كلمة من الحكمة، في الوصايا والآداب، والمواعظ، والأمثال، وجعلتها مسرودة يتلو بعضها بعضاً، محذوفة الأسانيد، مبوبة أبواباً على حسب تقارب الألفاظ، ليقرب تناولها، ويسهل حفظها ثم زدت مئتي كلمة، فصار ألف كلمة ومئتي كلمة، وختمت الكتاب بأدعية مروية عنه عليه السلام. وأفردت للأسانيد جميعها، كتاباً يُرجع في معرفتها إليه. وعُرف هذا الكتاب باسم مسند الشهاب(٤).

---

(١) الرسالة المستطرفة ص : ٤٢.

(٢) وهو مطبوع بتحقيق مصطفى عطا - مؤسسة الكتب الثقافية.

(٣) وهو مطبوع بتحقيق الدكتور عبدالعلي عبدالحميد -الدار السلفية-الهند.

(٤) انظر: مقدمة مسند الشهاب- ص/ ١٢-١٣ والرسالة المستطرفة : ص٥٧.

٨ - خصص الترمذي باباً للأمثال في جامعه، اشتمل على أربعة عشر حديثاً(١) أما بقية أصحاب الكتب الستة، فجاءت الأمثال عندهم موزعة على عدد من الأبواب.

(ثانياً) : أهمية الأمثال النبوية

يؤدي ضرب الأمثال إلى إدراك المعاني الذهنية المجردة، وتقريبها من العقل، وجعلها مفهومة، وتكوين صورة لهذا المعنى في المخيلة، ويكون التأثر بتلك الصورة أشد وأقوى فعالية من الأفكار المجردة. ولذلك كثر الاعتماد على هذا الأسلوب في القرآن الكريم حتى ضربت فيه الأمثال بكثير من الأشياء الحقيرة، قال تعالى: ﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين﴾(٢) ومن ذلك أيضاً أن الله شبه ضلال المشركين وضعف أوليائهم الذين يلجأون إليهم من دون الله، بالأنسجة الواهية التي ينسجها العنكبوت فقال: ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾(٣)، وأخبر الله عن عدم قبول أعمال الكفار بقوله: ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد﴾ (٤) وشبه الله تعالى مضاعفته ثواب الذين ينفقون أموالهم في سبيله، بالحبة التي تنبت سنابل عديدة، في كل سنبلة حبات عديدة فقال: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٨/ ١٥٢-١٧٧.

(٢) سورة البقرة آية: ٢٦.

(٣) سورة العنكبوت آية: ٤١.

(٤) سورة إبراهيم آية: ١٨.

واسع عليم﴾(١)

وإذا كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يتلو كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار، ويمر بآيات الأمثال المضروبة للناس، ويجد أثرها في الرد والتحدي، والترغيب والترهيب، ويعرف دور المثل ومكانته عند قومه عرب الجاهلية، فلابد أن يحظى المثل باهتمامه مادام وسيلة من وسائل الهداية، والإرشاد، والتعليم، وهو معلم البشرية، كما أخبر عنه تعالى في قوله: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾(٢)

ضرب -صلى الله عليه وسلم- المثل بنفسه فقال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون به ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين». (٣) وأسند الضرب لله فقال: «إن الله ضرب مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جنبتي الصراط، سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: ياأيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً، ولا تتفرجوا، وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط الإسلام والسوران حدود الله تعالى والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط، كتاب الله عز وجل، والداعي فوق الصراط، واعظ الله في قلب كل مسلم»(٤).

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٦١.

(٢) سورة الجمعة آية: ٢.

(٣) رواه البخاري -كتاب: المناقب - باب: خاتم النبيين٤/ ٥٢٢ ومسلم - كتاب: الفضائل - باب: ذكر كونه -صلى الله عليه وسلم-خاتم النبيين٤/ ١٧٩١ والرامهرمزي في أمثال الحديث ص١٠

(٤) رواه الترمذي -كتاب الأمثال- باب: ما جاء في مثل الله عز وجل لعباده ٨/

وفي حديث آخر، أسند الضرب للملائكة، فقال: جاءت الملائكة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم، وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً قال: فاضربوا له مثلاً، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى داراً، وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي، دخل الدار، وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار، ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة، والداعي محمد، فمن أطاع محمداً، فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً، فقد عصى الله»(١)

وفي هذين الحديثين من ضرب المثل، ونسبتهما إلى الله عز وجل، والملائكة ما يعلي من شأن المثل، ويبرز مكانته، ويوضح أهميته في تقريب المعاني إلى الأذهان. كما تمثل صلى الله عليه وسلم بأمثال الأنبياء السابقين، فقال: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستح فاصنع ماشئت»(٢). وفي بعض المواقف، يكفي الرد المباشر لكنه -صلى الله عليه وسلم- يؤثر ضرب المثل يراه الصحابة ينام على حصير فيقوم وقد أثر في جنبه فيقولون له: «يارسول الله لو اتخذنا لك وطاءً فيقول: «مالي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها» (٣) وحرص النبي -صلى الله عليه وسلم- على ضرب المثل لما فيه من المقدرة السريعة على توصيل الفكرة إلى ذهن المتلقي، يظهر في اهتمامه

١٥٢-١٥٣ =وقال: حسن غريب وأحمد ٤/ ١٨٢ -١٨٣.

(١) رواه البخاري- كتاب :الاعتصام بالكتاب والسنة- باب: الاقتداء بسنن رسول الله ٨/٤٨٩ - ٤٩٠.

(٢) رواه البخاري- كتاب: الأدب- باب: إذا لم تستح فاصنع ما شئت ٧/ ١٣١ وأبو داود - كتاب: الأدب - باب : في الحياء ٤/ ٢٥٢.

(٣) رواه الترمذي - كتاب: الزهد ٧/ ٤٨ وقال: حديث صحيح والرامهرمزي في أمثال الحديث- ص/ ٥٧-٥٨.

بالمشاهد، التي تمر في حياة الناس، فلا يلتفتون لها، ولا يلقون لها بالاً ، ولكنه -صلى الله عليه وسلم- يجد فيها أداة دعوة لما يريد تعليمه لهم. عن المستورد بن شداد قال: إني لفي الركب مع رسول الله، إذ أتى على سخلة منبوذة، قال: «أترون هذه هانت على أهلها» قال: فقيل يارسول الله من هوانها القوها -أو كما قال- قال: «فو الذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها»⁽¹⁾ .

ولعل من الجوانب التي تبرز شدة اهتمامه -صلى الله عليه وسلم- بالمثل، أنه اتخذ لضربه طرقاً متعددة، وسلك كل ما من شأنه إيضاح المراد، وإبرازه ماثلاً أمام الأعين. فاستخدم الإشارة لفتاً لأنظار السامعين، وإعانتهم على الفهم، وفيها يشترك أكثر من حاسة، فالناظر يرى الإشارة، ويسمع العبارة، فيكون ذلك أدعى للتذكر. واستعمل صلى الله عليه وسلم الإشارة بإصبعيه عندما أراد أن يقرر أن بعثته مقاربة لقيام الساعة، فقال: «بعثت أنا والساعة هكذا» ويشير بإصبعيه فيمد بهما⁽²⁾. وفي حديث آخر أشار بيده إلى رأس المخاطب، ليقرر القرب الشديد للساعة، فهي يومئذ أقرب إلى الناس من يده -صلى الله عليه وسلم- من رأس المخاطب. فعن ابن حوالة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «يابن حوالة، إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلايا، والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب للناس من يدي هذه من رأسك»⁽³⁾.

ومن الأعمال التي تؤهل صاحبها مرافقة رسول الله -صلى

---

(١) رواه الترمذي - كتاب :الزهد- باب : ماجاء في هوان الدنيا على الله ٦/ ٦١١ - ٦١٢ وقال حديث حسن، وابن ماجة - كتاب الزهد باب : مثل الدنيا ٢/ ١٣٧٧.

(٢) رواه البخاري كتاب: الرقائق - باب قول النبي بعثت أنا والساعة كهاتين ٧/ ٢٤٤، ومسلم -كتاب: الجمعة - باب: تخفيف الصلاة والخطبة ٢/ ٥٩٢، والرامهرمزي في أمثال الحديث ص: ٢٢ ، ٢٣.

(٣) رواه الحاكم - كتاب: الفتن والملاحم ٤/ ٤٧١ وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

الله عليه وسلم- في الجنة القيام بأمور اليتيم والبنات ويستخدم-صلى الله عليه وسلم الإشارة، للدلالة على ذلك فيقول: «أنا وكافل اليتيم في الجنة» وقال بإصبعيه السبابة والوسطى⁽¹⁾. وروى مسلم بسنده عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عـليه وسلم: «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو» وضم أصابعه⁽²⁾.

وكما استخدم الإشارة، استعان أيضاً بالرسم كأسلوب تعليمي يجلو الأمر ويوضحه. روى ابن مسعود قال: خط رسول الله خطاً، وخط عن يمين ذلك الخط وعن شماله خطاً ثم قال: «هذا صراط ربك مستقيماً، وهذه السبل على كل سبيل منها شيطان، يدعو إليه ثم قرأ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله»⁽³⁾. ويروي ابن مسعود، أيضاً استخدام النبي -صلى الله عليه وسلم- الرسم في موضوع الأمل، والأجل، فيقول: «خط رسول الله خطاً مربعاً، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خُططاً صغاراً، إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: «هذا الإنسان وهذا أجله، محيط به- أو قد أحاط به - وهذا الذي خارج أمله، وهذه الخطوط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا»⁽⁴⁾.

ومن الصور التي ضرب بها -صلى الله عليه وسلم- الأمثال الأدوات، فقد جاء عنه، أنه غرز عوداً بين يديه غرزاً، ثم غرز إلى جنبه آخر، ثم غرز الثالث فأبعده، ثم قال: «هل تدرون ما هذا»؟

---

(1) رواه البخاري -كتاب: الأدب-باب: فضل من يعول يتيماً ٧/ ١٠١، ومسلم - كتاب: الزهد والرقائق - باب: الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم٤/ ٢٢٨٧.

(2) رواه مسلم - كتاب: البر والصلة- باب: فضل الإحسان إلى البنات ٤/ ٢٠٢٧ - ٢٠٢٨ وقوله: أنا وهو وضم أصابعه: أي جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين.

(3) رواه ابن ماجه -المقدمة- باب: اتباع سنة رسول الله ١/ ٦ ، والحاكم - كتاب التفسير٢/ ٢٦١ وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي و الآية من سورة الأنعام آية١٥٣.

(4) رواه البخاري - كتاب: الرقاق - باب: في الأمل وطوله ٧/ ٢١٩ -٢٢٠ والرامهرمزي في الأمثال ص١٠٨-١٠٩.

قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا الإنسان، وهذا أجله، وهذا أمله، يتعاطى الأمل ويختلجه الأجل دون ذلك»(١).

وأحياناً يؤكد المعنى المراد من المثل، بالوصف باللون إلى جانب الصفة. فعن حذيفة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تعرض(٢) الفتن على القلوب، كالحصير عوداً عوداً فأي قلب أشربها (٣) نكت (٤) فيه نكتة سوداء. وأي قلب أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: قلب أبيض مثل الصفا(٥) فلا تضره فتنة، مادامت السماوات والأرض. والآخر أسود مربادّاً (٦) كالكوز مجخياً (٧) لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه». ومرة أخرى يؤكد المعنى، بلام التوكيد يقول -صلى الله عليه وسلم- «لقلب ابن آدم أشد انقلاباً من القدر إذا استجمعت غلياناً»(٨)، وبالقسم يقول صلى الله عليه وسلم: والله ما الدنيا في الآخرة، إلا مثل ما يجعل أحدكم اصبعه هذه في اليم فلينظر بم ترجع»(٩).

---

(١) رواه أحمد ٣/١٨ قال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٢٥٥ رجاله رجال الصحيح غير عليّ الرفاعي وهو ثقة. ويختلجه: أي يجتذ به واصل الخلج: الجذب والنزع (النهاية ٢/ ٥٩)

(٢) تعرض : أي توضع وتبسط كما يبسط الحصير وقيل: هو من عرض الجند بين يدي السلطان لإظهارهم واختبار أحوالهم (النهاية ٣/ ٢١٥).

(٣) اشربها: أي دخلت فيه دخولاً تاماً وحلت محل الشراب واختلطت به (النهاية ٢/ ٤٥٤).

(٤) نكت فيه نكتة سوداء: أي أثر قليل كالنقطة شبه الوسخ في المرآة والسيف ونحوهما (النهاية٥/ ١١٤)

(٥) الصفا: الحجر الأملس الذي لا يعلق فيه شيء (صحيح مسلم: ١/ ١٢٩).

(٦) مربادّاً: الربد لون بين السواد والغبرة (النهاية ٢/ ١٨٣)

(٧) مجخياً: اي مائلاً عن الاستقامة فشبه القلب الذي لا يعي خيراً بالكوز المائل الذي لا يثبت فيه شيء (النهاية١/ ٢٤٢) والحديث رواه مسلم - كتاب: الإيمان - باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً ١/ ١٢٨-١٢٩ وأحمد ٥/ ٣٨٦.

(٨) رواه الحاكم - كتاب التفسير - تفسير آل عمران ٣/ ٣١٧ وقال : حديث صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي .

(٩) رواه مسلم- كتاب صفة الجنة ونعيمها - باب: فناء الدنيا ٤/ ٢١٩٣

(ثالثاً) : أغراض ضرب المثل في الحديث النبوي

١ - تقريب المراد وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن المخاطب وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثّل به.

ومن أمثلة ذلك:

١- حديث أبي سعيد الخدري قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم «تكون الأرض يوم القيامة، خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده، كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة»(١)

وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يحشر الناس يوم القيامة، على أرض بيضاء، عفراء، كقرصة النقي، وليس فيها علم لأحد»(٢).

يعرض الحديثان صورة تغير معالم الأرض يوم القيامة، إذ تصبح كهيئة خبزة واحدة بيضاء، من الدقيق الخالص، مستوية لا معالم فيها، ولا بناء ولا أثر سكن، يقلبها الجبار كيفما يشاء، كما يقلب أحدنا خبزة السفر. وضرب المثل في هذا الحديث بخبزة تشبه الأرض في معنيين: أحدهما: بيان الهيئة التي تكون الأرض عليها يومئذ، والآخر بيان الخبزة التي يهيئها الله تعالى نزلاً لأهل الجنة وبيان عظم مقدارها ابتداعاً واختراعاً(٣). والصورة الحسية المستخدمة

---

(١) رواه البخاري كتاب: الرقاق باب: يقبض الله الأرض ٧/٢٤٨ ومسلم كتاب: صفة القيامة والجنة والنار باب: نزل أهل الجنة ٤/٢١٥١ ويتكفؤها الجبار بيده: أي يميلها من يد إلى يد حتى تجتمع وتسوى . والنزل :هو ما يعد للضيف عند نزوله (صحيح مسلم ٤/٢١٥١)

(٢) رواه البخاري في الكتاب، والباب السابقين ٧/٢٤٨ ومسلم في الكتاب والباب السابقين ٤/٢١٥٠ وعفراء: أي بيضاء إلى حمرة. والنقي: الدقيق النقي من الغش والنخال. وليس فيها علم لأحد: أي ليس فيها علامة سكنى أو بناء أو أثر (صحيح مسلم ٤/٢١٥٠)

(٣) فتح الباري ١١/٣٧٣

في تقريب الأمر الغيبي الذي جاء في الحديث ليست غريبة على ذهن السامع فهي قوت شائع يستخدمه في أسفاره. ونقل ابن حجر عن ابن أبي جمرة إن في هذا الحديث دليلاً على عظيم القدرة، والإعلام بجزئيات يوم القيامة ليكون السامع على بصيرة فيخلص نفسه من ذلك الهول لأن في معرفة جزئيات الشيء قبل وقوعه رياضة للنفس وحملها على ما فيه خلاصها بخلاف مجيء الأمر بغتة⁽¹⁾.

٢- روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدريّ الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا: يارسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها أحد قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا وصدقوا المرسلين»⁽²⁾.

هناك درجات في الجنة على حسب أعمال أهلها في الحياة الدنيا، فهناك منازل عالية ومنازل دونها وفي أعلى الجنة غرف هذه الغرف يراها أهل الجنة ويرون سكانها في أي مكان كانوا في الجنة، ولتقريب هذا الأمر الغيبي شبه صلى الله عليه وسلم رؤية أهل الجنة لأصحاب تلك الغرف برؤيتهم في الدنيا للكوكب المضيء في كبد السماء سواء كان في الأفق الشرقي أو الغربي، وفائدة ذكر المشرق والمغرب بيان الرفعة وشدة البعد، والتعبير بلفظ يتراءون يدل على المشاركة، فكما أن أهل الجنة يرون أصحاب تلك الغرف من أي موضع من الجنة فكذلك سكان هذه الغرف يرون أهل الجنة⁽³⁾.

---

(1) المرجع السابق ١١/ ٣٧٥.

(2) رواه البخاري - كتاب: بدء الخلق- باب: ما جاء في صفة الجنة ٤/ ٤٢٧ ومسلم كتاب: صفة الجنة ونعيمها، باب: ترائي أهل الجنة أهل الغرف ٤/ ٢١٧٧ والكوكب الدريّ: الكوكب العظيم قيل سمي دريّ: لبياضه كالدر، وقيل: لاضاءته، وقيل: لشبهه الدر في كونه أرفع من باقي النجوم كالدر أرفع الجواهر. الغابر: الذاهب الماشي الذي تدلى للغروب، وبعد عن العيون (صحيح مسلم ٤/ ٢١٧٧).

(3) التصوير الفني في الحديث النبوي ص: ١٦٠-١٦١

٣- في حديث المعراج، يقول -صلى الله عليه وسلم- في وصف سدرة المنتهى: «ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها»⁽١⁾

في هذا الحديث تصوير لأمور ثلاثة: ورق سدرة المنتهى، وثمرها وحسنها. أما الورق فشبهه -صلى الله عليه وسلم- بآذان الفيلة وهو تشبيه روعيت فيه الغرابة، فسدرة المنتهى شيء غريب فلذلك اختيرت لها أداة غريبة لتصوير أوراقها فالفيلة ليست بالحيوان الشائع في الجزيرة. وأما الثمر كالقلال وهو من مألوف بيئتهم. وأما الحسن فقد ذكر -صلى الله عليه وسلم- جملة عامة ليذهب الخيال في تقديره مذاهب واسعة، قرر صلى الله عليه وسلم أن لا أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها⁽٢⁾.

٤ - ومن الصور الرائعة التي ضربها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مثلاً لحب الله لعباده وفرحه الشديد بتوبة عبده حين يتوب قوله -صلى الله عليه وسلم: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه. فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح»⁽٣⁾

فهذا رجل يمشي في الصحراء على راحلته عليها زاده وشرابه فنزل يبغي الراحة فاستيقظ فلم يجد ناقته فأيقن الموت المحقق جوعاً

---

(١) رواه البخاري - كتاب: مناقب الأنصار- باب: المعراج ٤/٦٢٩ ومسلم كتاب: الإيمان- باب: الإسراء ١/١٤٦.

(٢) التصوير الفني في الحديث النبوي ص:١٤٧-١٤٨.

(٣) رواه البخاري-كتاب: الدعوات - باب: التوبة ٧/١٨٨ ومسلم - كتاب: التوبة -باب: في الحض على التوبة ٤/٢١٠٤-٢١٠٥.

وعطشاً فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وبينما هو على تلك الحال إذ يفاجأ براحلته عنده فيفرح فرحاً شديداً يعقد لسانه ويحمله على الغلط في كلامه. إن فرح الله بتوبة عبده يفوق فرح هذا الرجل.

وقد مكنت هذه القصة هذا المعنى المجرد في نفوس العرب لأنها صورت لهم هذا الأمر الغيبي بصورة مادية هم أكثر الناس إدراكاً لها لأنهم يعيشون في بيئة وربما تعرض الواحد منهم لمثل تلك الحالة التي عرض لها الحديث.

٢ - الترغيب والترهيب

استخدم -صلى الله عليه وسلم- المثل أداة تربوية توجه الإنسان وترشده إلى السلوك الذي يصلح لحياته فتضمنت أمثاله عديداً من المواقف تارة بالترغيب وأخرى بالترهيب ومن أمثلة ذلك:

١ - في صورة حسية مادية تتصل بحياة المخاطبين يبين -صلى الله عليه وسلم- عظم رحمة المولى عز وجل ووافر كرمه، ومضاعفته للعمل إن كان طيباً فيقول: «ماتصدق أحد بصدقة من طيِّب -ولا يقبل الله إلا الطيِّب- إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله»(١).

وفي رواية الترمذي: «إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره، حتى أن اللقمة لتصير مثل أحد»(٢).

---

(١) رواه البخاري -كتاب: الزكاة- باب: الصدقة من كسب طيِّب ٢/ ٤٣٣ -ومسلم كتاب: الزكاة- باب: قبول الصدقة من الكسب الطيِّب ٢/ ٧٠٢. والفلو: المهر إذا فطم وسمي بذلك لأنه فلى عن أمه ،أي : فصل وعزل (لسان العرب١٥/ ١٦٢) والفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه (لسان العرب ١١/ ٥٢٢).

(٢) رواه الترمذي -كتاب: الزكاة- باب : ما جاء في فضل الصدقة ٣/ ٣٣٠ وقال : حديث صحيح. والمهر: ولد الفرس أول ما ينتج من الخيل والحمر الأهلية (لسان العرب: ٥/ ١٨٥).

إن الصدقة اليسيرة من كسب طيّب يقبلها الرحمن ويأخذها بيمينه، والتلقي باليمين كناية عن الرضا والقبول. يقول ابن المنير: الكناية عن الرضا والقبول بالتلقي باليمين لتثبيت المعاني المعقولة من الأذهان وتحقيقها في النفوس تحقق المحسوسات، أي لا يتشكك في القبول كما لا يتشكك من عاين التلقي للشيء بيمينه لا أن التناول كالتناول المعهود ولا أن المتناول به جارحه⁽¹⁾، وبعد القبول يأتي دور التربية فيربيها تعالى لصاحبها ويزيدها حتى تصبح شيئاً كبيراً، قال تعالى: ﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم﴾ ⁽²⁾ كما يربي الواحد من الناس المهر والفصيل وفي التمثيل بتربية المهر لمضاعفة الأجر براعة فائقة ودقة متناهية لأن المهر يبذل في تربيته ما لا يبذل في غيره من الحيوان، وقد اقتصرت الرواية الثانية على المهر وذكر الفصيل في الرواية الأولى لمزيد من التوضيح إذ لا يكاد يخلو بيت من بيوت العرب من فصيل، أما المهر فربما لا يتوافر للناس جميعاً⁽³⁾.

وانتقال الخيال من رؤية الصدقة وهي تمرة أو لقمة إلى رؤيتها مثل الجبل ليقف الإنسان على عظيم الأجر الذي يكون للمتصدق ويبعث على الصدقة وعلى ألا يمتنع المرء منها لقلة ما يقدر على بذله فالصدقة وإن كانت قليلة إلا أنها تحقق لصاحبها النجاة من النار، وإلى هذا المعنى يشير قوله -صلى الله عليه وسلم- «اتقوا النار ولو بشق تمرة»⁽⁴⁾.

٢- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد

---

(1) تحفة الأحوذي ٣/٣٢٨.
(2) سورة البقرة آية: ٢٧٦.
(3) التصوير الفني في الحديث النبوي ص :٩٢.
(4) المرجع السابق ص :٣٢٩ والحديث رواه البخاري -كتاب: الزكاة- باب: اتقوا النار ولو بشق تمرة ٢/ ٤٣٥.

ملائكة يستمعون الذكر ومثل المهجّر(١) كمثل الذي يهدي البدنة، ثم كالذي يهدي بقرة ، ثم كالذي يهدي الكبش، ثم كالذي يهدي الدجاجة، ثم كالذي يهدي البيضة»(٢).

في الحديث حث على التبكير إلى الجمعة وبيان درجات التبكير وما يترتب عليها من الأجر وتقدير الثواب بصورة مادية فالمبكر يكون مثل من قدّم أكبر شيء من الضحايا وما يزال المتأخر ينقص أجره حتى يصل إلى البيضة. وفيه: حضور الملائكة لكتابة حاضري الجمعة الأول فالأول فإذا جلس الإمام على المنبر طووا صحفهم وجلسوا يستمعون الذكر.

٣ - قال صلى الله عليه وسلم: «ماذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»(٣).

من طبيعة الإنسان الحرص على المال والجاه وهذا الحرص مفسد لدينه إفساداً شديداً ومن فسد دينه خسر خسراناً مبيناً لا يقدر بمال ولا منصب. ويريد الرسول صلى الله عليه وسلم النهي عن هذين الأمرين والتحذير من شرهما فيضرب المثل لحالهما مع دين المرء بحال ذئبين جائعين أرسلا في غنم ولا راعي يذود عنهما فلا شك أن إفسادهما في الغنم سيكون إفساداً كبيراً، ولكن إفساد الحرص على المال والجاه لدين المرء أشد من إفساد هذين الذئبين للغنم.

وذكر الحرص دون الحب فيه إشارة إلى عمل النفس الإرادي وزيادة حرف الجر الداخل على الخبر (بأفسد) ثم اتباع النكرة

---

(١) المهجّر: التهجير التبكير إلى الصلاة وهو المضي إليها في أول الوقت (لسان العرب ٥/٢٥٥)

(٢) رواه البخاري - كتاب: الجمعة- باب : فضل الجمعة ١/٢٦٤ ومسلم- كتاب الجمعة -باب: فضل من استمع وانصت للخطبة ٢/٥٨٧،

(٣) رواه الترمذي كتاب الزهد ٧/٤٦ وقال: حسن صحيح، واحمد ٣/٤٥٦ والشرف: الجاه.

بالوصفين عمل له مدلوله فالذئب طبعه الفتك جائعاً وشبعاناً ومرسلاً ومقيداً فهو مخوف على كل حال فإذا انضم إلى طبعه الجوع تضاعف الخطر ووجب تزايد الحذر، فإذا سقطت الحماية وأرسل في الغنم كانت الفاجعة. وكذا الحرص على المال والجاه مخوف في كل الأحوال، فإذا انضم إلى ذلك سقوط الحماية وانخراق السياج كان الخطر الماحق.

صورة تذوقها المخاطبون لأنها مستمدة من بيئتهم صورها الرسول -صلى الله عليه وسلم- هكذا ليشغل فكر السامع بمدى خطورة هذا الأمر وليستحضر هذه الصورة كلما أعزاه الهوى فأوقع في نفسه حب المال أو الشرف ليخاف أن يفسد دينه كما يخاف ذئباً جائعاً أرسل في غنمه⁽¹⁾.

٤- وفي حديث آخر يحذر صلى الله عليه وسلم من الظلم فيقول: «الظلم ظلمات يوم القيامة»⁽²⁾.

هذا الحديث الموجز يقوم نذيراً على رؤوس الظالمين. إنه تعبير يحمي المجتمع كأنه نص دستوري يجب أن يتوقف عنده كل ذي سلطان وذي سلطة. ويذهب بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه العبارة عند حد المصير الذي سيكون للظالم في الآخرة، فإن ظلمه سيتحول إلى ظلام دامس يحل به فلا يرى طريقه ولا يعرف كيف يمضي ولا إلى أين يسير، كما أن عمل الصالحين سيكون سبباً للنور يوم القيامة: ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات نورهم يسعى بين أيديهم﴾⁽³⁾، وليس هذا فحسب، بل إن الظالم سينتقم الله منه في الدنيا قبل الآخرة- فإذا تأخر عنه العذاب فليس ذلك بإهمال من الله، بل إنه زيادة في عذابه. وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم:

---

(١) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ص :١٦٧-١٦٨.

(٢) رواه البخاري- كتاب: المظالم - باب : الظلم ظلمات يوم القيامة ١٣٩/٣ ومسلم- كتاب: البر والصلة - باب : تحريم الظلم ١٩٩٦/٤.

(٣) سورة الحديد آية : ١٢.

«إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم تلا قوله تعالى: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾(١).

وبهذا التعبير الموجز عن مصير الظالمين ينفر الرسول -صلى الله عليه وسلم- من الظلم بجميع أنواعه وضروبه ويحذر من عاقبته التي هي أسوأ عاقبة (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾(٢)

٣ - تقرير الحكم

استخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل كحجة وبرهان لإقرار الحكم عن طريق أدلة من النقل أو المنطق الفطري تقنع المخاطب فلا يجد سبيلاً لإطالة اللجاج ومن الشواهد على ذلك:

١ - عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة (٣) فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة(٤) بهيمة جمعاء(٥)، هل تحسون فيها من جدعاء(٦)؟»

ثم يقول أبو هريرة اقرأوا إن شئتم: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾.

---

(١) رواه البخاري- كتاب: التفسير -باب: قوله: وكذلك أخذ ربك ٥/ ٢٦٠ والآية من سورة هود - آية: ١٠٢.

(٢) سورة الشعراء آية: ٢٢٧.

(٣) الفطرة: ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به (لسان العرب ٥/٥٦).

(٤) كما تنتج البهيمة: أي تلد يقال: نُتِجَت الناقة إذا ولدت (لسان العرب ٢/ ٣٧٣).

(٥) بهيمة جمعاء: الجمعاء من البهيمة التي لم يذهب من بدنها شيء أي سليمة من العيوب مجتمعة الأعضاء كاملتها (لسان العرب ٨/ ٥٩).

(٦) جدعاء: الجدع القطع، وقيل: هو القطع البائن في الأنف والأذن واليد ونحوها (لسان العرب ٨/ ٤١) والحديث رواه البخاري -كتاب: القدر- باب: الله أعلم بما كانوا عاملين ٧/ ٢٦٩ ومسلم- كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة ٤/ ٢٠٤٧ والآية من سورة الروم آية: ٣٠.

في هذا الحديث يأخذ الرسول -صلى الله عليه وسلم- دليل القضية من الكتاب ثم يؤكدها بالتمثيل الذي يشخص به المعنى لعين السامع تشخيصاً يشهده فيما يعالجه هو بنفسه ويصنعه بيده من تغيير في البهيمة.

فالمولود يولد على الفطرة السليمة التي لو تُرك وإياها لنشأ على الإيمان وعاش على الخير والصلاح، ولكن البيئة التي يعيش فيها هي التي تلوث فطرته ولا سيما أبواه فهما سبب هلاكه ودماره، وسبب استقامته أو اعوجاجه، مثله في ذلك مثل البهيمة في سلامتها عند الولادة من العيوب حتى يحدث أصحابها النقص فيها فتخرج عن الأصل.

وقد وقع الاستفهام التقريري موقعه في جملة التمثيل، حتى يفتش المخاطب إحساسه فيجيب بالنفي فيكون جوابه تصديقاً من جهته وإذعاناً ملزماً بالاقتناع(١).

٢ - عن أبي رزين العقيلي قال: قلت يارسول الله كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه؟ قال: «أما مررت بوادي أهلك محلاً»؟ قال: بلى قال: «ثم مررت به يهتز خضراً»؟ قال: بلى قال: «فكذلك يحيي الله الموتى وذلك آيته في خلقه»(٢).

هذا الصحابي يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن كيفية إعادة الخلق بعد الفناء، وعن الدليل المثبت لعقيدة المعاد فيقدم له الرسول المعلم -صلى الله عليه وسلم- برهاناً مادياً على قدرة الخالق على إعادة الخلق عن طريق القياس القريب فيسأله عن أمر يتكرر أمام بصره من حين لآخر هو صورة للبعث، الأرض تكون ميتة لا حياة فيها ولا نبات فتتحرك بقدرة الله وتخرج الزروع المختلفة فبعث الناس كإعادة الحياة إلى هذه الأرض فضرب -صلى الله عليه وسلم-

---

(١) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ص: ٢٤٤.

(٢) رواه الحاكم -كتاب: الأهوال ٤/ ٦٠٥. وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

للسائل مثلاً من الحاضر المحس المشاهد للغائب المتعقل الموعود.

وهذا القياس النبوي مستمد من القرآن الكريم الذي كثيراً ما استدل على قضية البعث بعد الموت بإعادة الحياة إلى الأرض المجدبة ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾(١) ﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون﴾(٢).

(رابعاً) : أنواع الأمثال النبوية

١ - الأمثال القياسية

يقصد بالأمثال القياسية تلك التي يصرح فيها بلفظ التمثيل وغالباً ما يبدأ به المثل وقد جاء بعضها على شكل تشبيهات مركبة لعدد من الأشياء والتصوير البياني لها لغرض التأثير والتوضيح وبث المقاصد السامية في النفوس بطريق الوصف. ومن هذه الصور التمثيلية تشبيهه صلى الله عليه وسلم الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير ترغيباً في مجالسة الأول وتحذيراً من مخالطة الآخر. فقال: «مثل جليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيِّبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة»(٣).

ومنها تمثيله - صلى الله عليه وسلم- المؤمن بالخامة من الزرع والفاجر بالأرزه «مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع من حيث أتتها الريح كفأتها(٤)، فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء، والفاجر كالأرزة صماء

---

(١) سورة فاطر، آية : ٩.

(٢) سورة الروم، آية: ١٩.

(٣) رواه البخاري - كتاب: الذبائح والصيد- باب : المسك ٦/ ٥٨٥ ومسلم -كتاب : البر والصلة- باب : استحباب مجالسة الصالحين ٤/ ٢٠٢٦.

(٤) كفأتها: أي أمالتها.

معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء»(١).

وجاءت طائفة أخرى من هذه الأمثال في شكل قصصي أريد به العظة والعبرة ويزداد طول هذه الأمثال أو بعضها على سابقتها التي اقتصرت على مجرد التمثيل والتصوير من غير ما قصة أو حكاية. ومن هذه التمثيلات القصصية ما رواه الحاكم بسنده عن سمرة بن جندب قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «هل رأى أحد منكم رؤيا»؟ قال: فيقص عليه من شاء وإنه قال ذات غداة: إنه أتاني الليلة . . . وذكر حديثاً طويلاً (٢).

والأمثال القياسية أو أمثال التمثيل التي دخل لفظ مثل فيها وردت بأشكال مختلفة: فقد يدخل لفظ مثل على المشبه والمشبه به، كقوله -صلى الله عليه وسلم: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة»(٣).

وقوله: «إنما مثلكم ومثلهم كمثل رجل استرعى إبلاً أو غنماً فرعاها، ثم تحيَّن سقيها فأوردها حوضاً فشرعت فيه فشربت صفوه وتركت كدره، فصفوه لكم وكدره عليهم»(٤).

وقد يدخل لفظ مثل على المشبه فقط:

كحديث: «مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيؤها الريح مرة

---

(١) رواه البخاري - كتاب: المرضى والطب - باب: ما جاء في كفارة المرض ٤/ ٧ ومسلم - كتاب: صفات المنافقين - باب: مثل المؤمن كالزرع ٤/ ٢١٦٣. وصماء: أي صلبة شديدة. ويقصمها: أي يكسرها.

(٢) انظره في المستدرك -كتاب: تعبير الرؤيا ٤/ ٤٣٩ قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٣) رواه مسلم - كتاب صفات المنافقين ٤/ ٢١٤٦ والعائرة: أي الحائرة المترددة. وتعير: أي تتردد وتذهب.

(٤) رواه مسلم - جزء حديث - كتاب: الجهاد - باب: استحقاق القاتل سلب القتيل ٣/ ١٣٧٣ ومعنى الحديث: ان الرعية يأخذون صفو الأمور فتصلهم أعطياتهم بغير نكد. وتبتلي الولاة بمقاساة الأمور وجمع الأموال من وجوهها وصرفها في وجوهها، وحفظ الرعية والذب عنهم ثم متى وقع في ذلك شيء من الكدر توجه على الأمراء دون الناس (صحيح مسلم: ٣/ ١٣٧٤).

وتعدلها مرة» (١) وحديث: «ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها» (٢).

وأحياناً يذكر لفظ مثل مع المشبه به فقط.

كحديث: «المؤمنون في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى شيء منه تداعى سائره بالسهر والحمى» (٣).

وقد يحذف لفظ مثل من الطرفين ويستعاض عنه بالكاف في المشبه به.

كحديث: «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوب زور» (٤) وحديث: «المدينة كالكير تنفي خَبَثَها وينصع طَيِّبُها» (٥).

من هذا كله يتضح ان أمثال التمثيل في الحديث النبوي جاءت بأشكال مختلفة فدخل لفظ مثل في أكثرها على ركني التشبيه وفي هذه الحالة قد تدخل الكاف على الطرف الثاني، وقد يتجرد منها، وقلة منها ذكر فيها لفظ مثل مع المشبه فقط، أو مع المشبه به، أو حذف من الطرفين واستعيض عنه بالكاف في المشبه به.

٢ - الأمثال البيانية:

أ - أمثال التشبيه البسيط : تختلف هذه الأمثال عن أمثال

---

(١) رواه البخاري- كتاب :المرضى والطب ٣/٧.

(٢) رواه ابن حبان - الزوائد - كتاب : الزهد - باب : عيش السلف ص: ٦٢٦.

(٣) رواه الرامهرمزي في أمثال الحديث ص: ٨١-٨٢ ومسلم - كتاب :البر والصلة - باب: تراحم المؤمنين ١٩٩٩/٤ وفي روايته ذكر لفظ مثل.

(٤) رواه البخاري - كتاب : النكاح - باب : المتشبع بما لم ينل ٤٨٦/٦ ومسلم - كتاب : اللباس - باب : النهي عن التزوير في اللباس ١٦٨١/٣.

(٥) رواه البخاري - كتاب فضائل المدينه - باب : المدينة تنفي الخبث ٥٨/٢ ومسلم - كتاب : الحج - باب : المدينة تنفي شرارها ١٠٠٦/٢ وينصع: اي يصفو ويخلص ويتميز . ومعنى الحديث : انه يخرج من المدينة من لم يخلص إيمانه ويبقى فيها من خلص إيمانه (صحيح مسلم ١٠٠٦/٢).

التمثيل المركبة الطويلة فهي عبارة عن تمثيلات فردية تتضمن تشبيهاً واحداً جاء بركنيه المشبه والمشبه به، وتتفاوت في أطوالها ما بين قصيرة مجملة لا تفصيل فيها، وأخرى طويلة فيها شيء من التفصيل، وكلا النوعين يعد قصيراً إذا ما قورن بالتشبيهات والتمثيلات المركبة الطويلة. فمن الأمثال القصيرة الفردية قوله -صلى الله عليه وسلم- : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»(١).

فمثّل تآزر المؤمنين وتعاضدهم مع بعضهم بالبنيان يشد بعضه بعضاً، فالإنسان ضعيف بنفسه عاجز عن تحقيق كل شيء يريده لنفسه أو لأمته ولكن بتعاضده وتعاونه مع أخيه المؤمن يصبح قوياً فهو كالبنيان يشد بعضه بعضاً، فجدار واحد لا يستطيع أن يبقى منتصباً ثابتاً لمدة طويلة، ولكن إذا انضم هذا الجدار إلى غيره من جدران وسقف وبيوت عن يمينه ويساره يصبح أكثر قوة وثباتاً ورسوخاً.

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن مرآة المؤمن»(٢).

فشبه المؤمن الناصح المخلص بالمرآة يرى أخوه فيه وجهه وحقيقة أمره فيتلافى عيوبه ويستكمل نقصه وما كان ليدرك لولاه شيئاً من هذه العيوب والنقائص.

فالمؤمن ينصح أخاه ويريه الحسن من القبيح كما تُري المرآة الناظر فيها ما يكون بوجهه من الحسن وخلافه.

ومن ذلك أيضاً قوله -صلى الله عليه وسلم: «إنما الناس كالإبل المائة لا تجد فيها راحلة»(٣) فالناس على كثرتهم مع قلة

---

(١) رواه مسلم - كتاب: البر والصلة- باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم ٤/١٩٩٩.

(٢) رواه أبوداود - كتاب الأدب باب في النصيحة ٤/ ٢٨٠ والقضاعي في مسند الشهاب ١/ ١٠٥-١٠٦.

(٣) رواه البخاري - كتاب: الرقاق- باب: رفع الأمانة ٧/ ٢٤٢ ومسلم كتاب: فضائل الصحابة باب: الناس كإبل مائة ٤/ ١٩٧٣ والراحلة من الإبل . قال: في اللسان ١١/ ٢٧٧ هي البعير القوي على الأسفار والأحمال وهي التي يختارها الرجل لمركبه ورحله على النجابة وتمام الخَلق وحسن المنظر.

الأخيار فيهم كالإبل الكثيرة التي يندر أن يكون فيها راحلة ووقع التمثيل بصورة مألوفة وأخص ما يهتم به أهل البادية، وهم أدرى بما يختارون من أوساط إبلهم ليتخذوه راحلة، وهذا التشبيه للناس بالإبل لبيان أن العثور على الصالح الذي يعتمد عليه في أوساط الناس قليل وأن الكثرة لا تغني شيئاً إذا فقد الأخيار.

وإذا كانت هذه الأمثال قد تضمنت تشبيهاً واحداً فإن من الأمثال ما تضمن تشبيهين وهو ما يسمى بالمثل الزوجي أو الثنائي، أي أن عبارة التشبيه أو التمثيل تضمنت تشبيهين.

ومن أمثال التشبيه الثنائية قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء»(١) .

فذوبان من يريد السوء بأهل المدينة شبه بشيئين ، الأول: ذوبان الرصاص في النار، والثاني: ذوبان الملح في الماء، والجامع بينهما الذوبان فهما تمثيلان متقاربان.

ومن المتضاد قوله صلى الله عليه وسلم: «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة»(٢). فالجاهر غير المسر، والعلاقة بينهما علاقة تضاد.

كما وردت تمثيلات ثلاثية ورباعية.

فمن الثلاثي حديث: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين(٣) البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان(٤)، أو كأنهما فِرْقان(٥) من

---

(١) رواه مسلم - كتاب : الحج - باب: فضل المدينة ٢/ ٩٩٢ -٩٩٣

(٢) رواه الترمذي - كتاب : فضائل القرآن ٨/ ٢٣٧ وقال :حسن غريب.

(٣) الزهراوان: أي المنيرتان، واحدتها زهراء (النهاية ٢/ ٣٢١).

(٤) غمامتان وغيايتان: بمعنى واحد وهو : كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها (المرجع السابق ٣/ ٤٠٣).

(٥) فِرقان وفي رواية أخرى حِزقان وهما بمعنى واحد أي: قطيعان وجماعتان (صحيح

طير صواف(١)، تحاجان(٢) عن صاحبهما»(٣).

قراءة سورتي البقرة وآل عمران ثوابهما يأتي يوم القيامة في هيئة ظل يدفع عن قارئهما حر ذلك اليوم، وجاء التشبيه بثلاثة أشياء: غمامتان، وغيايتان، ومجموعة من أسراب الطير، وكلها صور لتأكيد أجرهما ودفاعهما عن صاحبهما. وقد نص على مثلية هذا الحديث راويه فقال: وضرب لها رسول الله -أي للبقرة وآل عمران- ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، ثم ذكرها(٤).

ومن الرباعي حديث: «إن الصراط وضع بين أظهر جهنم دحض مزلة، والأنبياء عليه يقولون: رب سلم سلم، والناس عليه كالبرق، وكطرفة عين، وكأجود الخيل والركاب، وشداً على الأقدام»(٥).

فالتشبيه الأول: مرور الناس على الصراط كالبرق، والثاني: كطرفة عين، والثالث: كأجاود الخيل والركاب، والرابع: السير على الأقدام.

مما تقدم تبين أن أمثال السنة التشبيهية تنوعت تنوعاً كثيراً فجاء بعضها فردياً، وبعضها ثنائياً وثلاثياً ورباعياً، والتشبيهات فيها تأتي حسب معانيها وأحوالها فمن المعاني ما يستدعي الإطالة ومنها ما يكون قصيراً موجزاً، وجاء تقرير المعنى وتأكيده في الأمثال الثنائية بالمتفق والمتضاد.

مسلم١/ ٥٥٣).

(١) طير صواف: أي باسطات أجنحتها في الطيران (النهاية ٣/ ٣٨).

(٢) تحاجان: أي تدافعان وهو كناية عن المبالغة في الشفاعة (صحيح مسلم ١/ ٥٥٣)

(٣) رواه مسلم-كتاب: صلاة المسافرين- باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ١/ ٥٥٣

(٤) انظر: صحيح مسلم ١/ ٥٥٤.

(٥) رواه البخاري - كتاب: التوحيد -باب: قوله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة ضمن حديث طويل ٨/ ٥٤٢ والرامهرمزي في أمثال الحديث ص١٤٨. والدحض والمزلة بمعنى واحد أي المكان الذي تنزلق عليه الأقدام (انظر اللسان ٧/ ١٤٨ ، ١١/ ٣٠٦).

ب - أمثال الاستعارة التمثيلية: المجاز المركب بالاستعارة التمثيلية: هو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة، أي تشبه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى، ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه، فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه، نحو (أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى). يضرب لمن يقدم على الأمر مرة ويحجم أخرى ، وغيره من الأمثال السائرة»(١)، ولهذا ذهب البلاغيون إلى أن الأمثال الموجزة السائرة ما هي إلا مجازات مركبة أو تمثيلية، وقد ذكرنا قول السكاكي ومن تابعه: إن التشبيه التمثيلي متى فشا استعماله على سبيل الاستعارة لا غير سمي مثلاً(٢).

والأمثال الاستعارية والمجازية كثيرة في الحديث النبوي ، منها قوله -صلى الله عليه وسلم- (الآن حمي الوطيس)(٣) والوطيس حفرة تحفر فيوقد فيها النار للاشتواء ولا وطيس هناك على الحقيقة، ولكن شبه اشتداد المعركة والصراع بين المتقاتلين باستعار النار في الوطيس(٤).

ومن ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم- :«يهرم ابن آدم ويشب منه اثنتان الحرص على العمر والحرص على المال»(٥).

قال الشريف الرضي: وهذه استعارة كأنه -صلى الله عليه وسلم- جعل هاتين الخصلتين في الإنسان مع نقصان عمره وتدني أجله بمنزلة الشباب المقبل والعمر المستقبل فكلما ازداد جسمه ضعفاً

---

(١) التلخيص في علوم البلاغة، ص: ٣٢٢.

(٢) مفتاح العلوم، ص: ٣٤٩.

(٣) رواه مسلم -كتاب الجهاد - باب : في غزوة حنين ٣/ ١٣٩٨ -١٣٩٩ ولفظه :(هذا حين حمي الوطيس) وأحمد ١/ ٢٠٧ والطبراني ٧/ ٣٥٧ -٣٥٨ بلفظ (الآن حمي الوطيس).

(٤) المجازات النبوية، ص٤٥، ٤٦ .

(٥) رواه الترمذي - كتاب : الزهد - باب : ما جاء قلب الشيخ شاب على حب اثنتين ٦/ ٦٣٢، وقال : حسن صحيح.

ازداد أملاً فيكون أضعف ما كان بدناً وشخصاً، أقوى ما يكون أملاً وحرصاً(١).

وقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ: «هل يكب الناس على وجوههم ، أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»(٢) ، فشبه ما يتكلم به الإنسان بالزرع المحصود بالمنجل فكما أن المنجل يقطع ولا يميز بين الرطب واليابس والجيد والرديء كذلك لسان بعض الناس يتكلم بكل نوع من الكلام حسناً وقبيحاً(٣). وقد حذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الحصاد.

وقوله -صلى الله عليه وسلم- : «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»(٤). المراد أن من تأخر بسوء عمله عن مرتبة العاملين المجدين، لم يتقدم إليها بشرف نسبه وكريم حسبه، فجعل -صلى الله عليه وسلم- الإبطاء والإسراع مكان التأخر والتقدم ، لأن المبطيء متأخر والمسرع متقدم، وأضافهما إلى العمل والنسب وهما في الحقيقة لصاحبهما لا لهما، ولكن العمل والنسب لما كانا سبب الإبطاء والإسراع حسن أن يضاف ذلك إليهما على سبيل المجاز والاتساع(٥).

ج - **أمثال الكناية:** الكناية في اصطلاح البلاغيين: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي.(٦)

وفي بيان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيض من الكنايات التي أضفت على المعاني من رونق أسلوبه -صلى الله عليه

---

(١) المجازات النبوية ص: ٣٥١.

(٢) رواه الترمذي - كتاب: الإيمان - باب: ما جاء في حرمة الصلاة ٧/ ٣٦٢ -٣٦٥ في حديث طويل وقال: حسن صحيح، وابن ماجة كتاب: الفتن - باب: كف اللسان في الفتنة ٢/ ١٣١٤ -١٣١٥.

(٣) تحفة الأحوذي ٧/ ٣٦٥.

(٤) رواه مسلم - كتاب : الذكر والدعاء - باب : فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ٤/ ٢٠٧٤.

(٥) المجازات النبوية ص: ٤٠١ -٤٠٢.

(٦) التلخيص ص: ٣٣٧.

وسلم- ما يبعث على الإعجاب، وقد خصص الرامهرمزي في كتابه أمثال الحديث باباً لأمثال الكناية أورد فيه حديث: «إن الجنة تحت ظلال السيوف» وقال: وهذا حث منه على الجهاد ومعناه أن حامل سيفه في سبيل الله مطيعاً لله به يصل إلى الجنة»(١).

وحديث: «كل الصيد في بطن الفرا»(٢) قاله صلى الله عليه وسلم لأبي سفيان حين استأذن عليه، فأخره وأَذِنَ لغيره، ثم أَذِنَ له، فقال أبوسفيان: ما كدت أن تأذن لي حتى كدت أن تأذن لحجارة الجلهمتين(٣) قبلي.

وأراد -صلى الله عليه وسلم- بما قاله لأبي سفيان تألفه على الإسلام، يعني أنت في الصيد كحمار الوحش، كل الصيد دونه(٤).

ومن أمثلتها مما لم يذكره الرامهرمزي قوله -صلى الله عليه وسلم- «اكثروا ذكر هاذم اللذات»(٥). كنى به عن الموت.

ومنها قوله صلى الله علهيه وسلم: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»(٦) فكنى عن اللسان بقوله: ما بين لحييه، وعن الفرج بقوله: ما بين رجليه.

---

(١) أمثال الحديث - ص١١٩ والحديث رواه الرامهرمزي في أمثال الحديث ص:١١٨-١١٩ والبخاري - كتاب: الجهاد- باب: الجنة تحت بارقة السيوف ٣/ ٢٨٣ بلفظ: (واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف).

(٢) الفرا: حمار الوحش، وقيل: الفتّي منها (لسان العرب ١/ ١٢١) والحديث رواه الرامهرمزي في أمثال الحديث ص:١١٩ وذكره السخاوي في المقاصد الحسنة ص: ٣٢٣ وقال: سنده جيد لكنه مرسل.

(٣) الجلهمتين: جاء في اللسان (١٣/ ٤٨٥) قال أبو عبيد إنما هو الجلهتين بدون ميم والجلهة: فم الوادي، وقيل: جانبه - زيدت فيه الميم.

(٤) النهاية ٣/ ٤٢٢.

(٥) رواه الترمذي - كتاب: الزهد - باب: ماجاء في ذكر الموت ٦/ ٥٩٤ وقال: حديث غريب حسن. وهاذم بالذال: أي قاطعها وروى هادم بالدال: أي دافعها ومخربها (تحفة الأحوذي ٦/ ٥٩٤).

(٦) رواه البخاري - كتاب: الرقاق- باب حفظ اللسان ٧/ ٢٣٦، والقضاعي في مسند الشهاب ١/ ٣٢٣.

٣ - الأمثال البديعية: المحسنات البديعية تضفي على القول رونقاً وبهجة وتجلو الأفكار وتوضحها شرط أن تجري مجرى الطبع بعيدة عن التكلف والتعسف لذا أجمع علماء البلاغة على أنها لا تحل محلها من القول ولا تقع موقعها من الحسن حتى يكون المعنى هو الذي استدعاها [(١)]، وقد ورد في الحديث الشريف طائفة من روائع الأمثلة كانت المحسنات فيها السمة الواضحة التي تنبيء عن المعاني، لكن دون تكلف أو صنعة إذ البعد عنهما من خصائص الأسلوب النبوي فكلامه -صلى الله عليه وسلم- ينبع من طبع أصيل وفطرة صافية لا مجال فيه لصور تنأى عن الذوق السليم، أو إثقال بالصنعة البديعية أو الزخرف المستكره.

أ - امثال الطباق:

عرف البلاغيون الطباق بأنه الجمع بين متضادين أي معنيين متقابلين في الجملة(٢)، وفي الحديث النبوي أمثال كثيرة تضمنت الفاظاً متقابلة أورد الثعالبي بعضاً منها في كتابه التمثيل والمحاضرة (٣) تحت عنوان (ومن ذلك حسن الطباق في كلامه عليه الصلاة والسلام) منها قوله صلى الله عليه وسلم: «حفت النار بالشهوات، وحفت الجنة بالمكاره»(٤) وقوله: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»(٥) وقوله: «انظروا إلى من أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله»(٦) ،

---

(١) التلخيص ص: ٣٤٧.

(٢) المرجع السابق ص: ٣٤٨

(٣) ص : ٢٥.

(٤) رواه البخاري - كتاب: الرقاق - باب : حجبت النار بالشهوات ٧/ ٢٣٩ وفيه (حجبت بدلاً من حفت) ومسلم- كتاب: الجنة وصفة نعيمها ٤/ ٢١٧٤ واللفظ له وانظر التمثيل والمحاضرة ، ص: ٢٥.

(٥) رواه مسلم - كتاب: البر والصلة- باب: الأرواح جنود مجندة ٤/ ٢٠٣١ وانظر التمثيل والمحاضرة الصفحة السابقة.

(٦) رواه مسلم - كتاب: الزهد والرقائق ٤/ ٢٢٧٥ واحمد ٢/ ٢٥٤ وانظر التمثيل والمحاضرة الصفحة السابقة.

ومن هذه الأمثال أيضاً : «اليد العليا خير من اليد السفلى»(١)، وحديث: «الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشبّهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه»(٢).

ب - أمثال الجناس:

الجناس: هو تشابه لفظين في النطق، واختلافهما في المعنى، وهذا التشابه إما أن يكون تاماً وهو الذي يكون التجانس فيه في أنواع الحروف وعددها وهيئتها الحاصلة من الحركات والسكنات وترتيبها، أو يكون غير تام وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور السابقة التي يجب توافرها في الجناس التام(٣).

وفي الحديث النبوي طائفة من الأمثال تضمنت ألفاظاً متجانسة أورد بعضاً منها الثعالبي في التمثيل والمحاضرة. كقوله -صلى الله عليه وسلم- : «الظلم ظلمات يوم القيامة»(٤)، وقوله: «المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»(٥)، وقوله: «أسلم تسلم»(٦)، وقوله: «الخيل معقود في نواصيها الخير»(٧)

---

(١) رواه البخاري - كتاب: الزكاة - باب: لا صدقة إلا ظهر غنى ٢/ ٤٣٩ وأبو الشيخ في الأمثال ، ص :١٣٩-١٤٠.

(٢) رواه البخاري: كتاب: الإيمان - باب: فضل من استبرأ لدينه ١/ ٢٣ وأبو الشيخ في الأمثال ص:٣٠٧.

(٣) التلخيص ص: ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠

(٤) رواه البخاري - كتاب: المظالم- باب: الظلم ظلمات يوم القيامة ٣/ ١٣٩ ومسلم : كتاب : البر والصلة- باب: تحريم الظلم ٤/ ١٩٩٦.

(٥) رواه أحمد ٣/ ١٥٤ قال الهيثمي في المجمع ١/ ٥٤ رواه احمد وابو يعلى ورجاله رجال الصحيح إلا عليّ بن زيد ، وقد شاركه فيه حميد ويونس بن عبيد.

(٦) رواه البخاري - كتاب: بدء الوحي ١/ ٧ - ٨ ضمن حديث طويل، ومسلم كتاب: الجهاد - باب: كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ٣/ ١٣٩٣ - ١٣٩٧.

(٧) رواه مسلم - كتاب : الإمارة - باب : الخيل معقود في نواصيها الخير ٣/ ١٤٩٢ ومعقود : أي ملويّ مضفور بها . والمراد بالناصية الشعر المسترسل على الجبهة. وانظر التمثيل والمحاضرة ص: ٢٦، ٢٧.

ج - أمثال السجع:

جــاء عن النبي -صـلى الله عليــه وسلم الـبـديع الـرائع من السجع الذي تترقرق كلماته، وتنطق ألفاظه، وتتسق عباراته، وتتلألأ معانيـه في جمل متناسقة فلا يجـد القاريء إلا نمطاً من القول آية في الجودة وغاية في الجمال والقوة.

وقـد كثـر السجع في الأمـثال التـي أثرت عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل قـوله: «إن من البيان سحراً وإن من الشـعر حكماً»(١) وقـوله: «احـفظ الله يحـفظك احفـظ الله تجده تجـاهك. إذا سـألت فاسأل الله، وإذا استـعنت فاسـتعن بالله» (٢) وقوله: «اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»(٣)

٤ - الأمثال على أفعل:

جرت عادة العرب على المبالغـة في وصف الشيء واستخدموا لذلك صيغة «أفـعل» لتعبر لهم عن ذلك، وجاءت عليها أمثـال كثيرة كقولهم: «أجود من حاتم»(٤) «أطيش من فراشة»(٥) «أظلم من حية»(٦) وقد اهتم جمّاع الأمثال بهذا النوع من الأمثال وحرصوا على تدوينها وألفوا فيـها كتباً من أشهـرها الدرة الفاخرة في الأمثال السـائرة لحمزة الأصـفهـاني يقول في مـقدمـتـه: هذا كتـاب أودعتـه فناً من الأمثـال السائرة عن العـرب وهي أكثر ما يجـري منها على ألسنة الفصـحاء،

---

(١) رواه أبو داود - كتاب: الأدب - باب: ماجاء في الشعر ٤/ ٣٠٣ والترمذي - كتاب الأدب - باب: مـا جاء في إنشـاد الشعـر ٨/ ١٣٦ مـقـتصراً على جزءه الأخيـر، وقال: حديث حسن صحيح وأبوالشيخ في الأمثال ، ص: ٣٩.

(٢) رواه التـرمـذي كـتـاب: الزهد ٧/ ٢١٩-٢٢٠ وقــال: حـديث حـسن صـحـيح، والقضاعي في مسند الشهاب ١/ ٤٣٤

(٣) رواه الترمذي - كـتاب :البر والصلة- باب: ما جاء في مـعاشرة الناس ٦/ ١٢٢-١٢٣ وقال: حديث حسن صحيح والقضاعي في مسند الشهاب ١/ ٣٧٩

(٤) الدرة الفاخرة ١/ ١٢٦

(٥) المرجع السابق ١/ ٢٨٩

(٦) المرجع السابق ١/ ٢٩٣

ويختلط بخطاب البلغاء ، ويدخل في نوادر وبدائع الشعراء وهو ما جاء من الأمثال على قولهم «هو أفعل من كذا»(١).

وقد وردت أحاديث كثيرة على صيغة أفعل تحدث بعضها عن أمور غيبية وتناول البعض الآخر ما رغب فيه أو نهى عنه الشارع، فمن أمور الغيب ما ذكره -صلى الله عليه وسلم- من قرب الجنة والنار من الناس في قوله: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك»(٢). وأخبر عن عدد الداخلين في الجنة من أمته بشفاعة رجل منهم فقال: «يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم»(٣).

ومما جاء منها ويتصل بالترغيب أو الترهيب قوله صلى الله عليه وسلم في الترغيب في الصدقة على الأرحام «أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح» (٤) وقوله في الترغيب في القناعة والرضا بما قسم الله «قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافاً وقنعّه الله بما آتاه»(٥) وقال في بيان خطورة الكلمة «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»(٦).

٥ - أمثال المضاف والمنسوب:

وهذه الأمثال تقوم على الإضافة والنسبة ووردت بكثرة في الأمثال العربية وألفت فيها كتب خاصة بها منها: ثمار القلوب في

---

(١) المرجع السابق المقدمة ص: ٥٥

(٢) رواه البخاري - كتاب: الرقاق - باب حجبت النار بالشهوات ٧/ ٢٣٩ وأحمد ١/ ٣٨٧.

(٣) رواه الترمذي - كتاب: صفة القيامة - باب: ما جاء في الشفاعة ٧/ ١٣٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٤) رواه الطبراني في الكبير ٢٥ : ٨٠ قال الهيثمي في المجمع ٣/ ١١٦ رجاله رجال الصحيح والقضاعي في مسند الشهاب ٢/ ٢٤٤-٢٤٥ والكاشح: الذي يضمر عداوته ويطوي عليها كشحه: أي باطنه (النهاية ٤/ ١٧٥)

(٥) رواه مسلم-كتاب: الزكاة-باب: في الكفاف ٢/ ٧٣٠

(٦) رواه البخاري ، كتاب الرقاق-باب: حفظ اللسان ٧/ ٢٣٦ ومسلم - كتاب: الزهد والرقاق - باب: المتكلم بالكلمة يهوي بها في النار ٤/ ٢٢٩٠

المضاف والمنسوب للثعالبي وأشار في مقدمة كتابه إلى كثرة هذا النوع من الأمثال وانتشاره على ألسنة الخاصة والعامة، فقال: بناء هذا الكتاب على ذكر أشياء مضافة ومنسوبة إلى أشياء مختلفة يُتمثل بها، ويكثر في النثر والشعر وعلى ألسنة الخاصة والعامة استعمالها كقولهم: غراب نوح ، ونار إبراهيم، وخاتم سليمان. وهذا الكتاب في واحد وستين باباً بحسب المضاف إليه فالباب الأول فيما يضاف إلى اسم الله والثاني فيما يضاف إلى الأنبياء ... إلخ⁽¹⁾ وأورد الثعالبي طائفة من هذه الأمثال مما جاء في الحديث النبوي ؛ منها: صواحب يوسف يقال للنساء عند شكايتهن وذم أخلاقهن، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لبعض نسائه وهو يعاتبها «إنكن صواحب يوسف»⁽²⁾ ؛ ومنها : ظل السيف في الخبر: «لا تتمنوا لقاءالعدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»⁽³⁾ ومنها: جناح بعوضة يضرب به المثل في القلة والصغر والخفة كما يضرب بمثقال ذرة وفي الحديث: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»⁽⁴⁾.

دار أبي سفيان: يضرب بها المثل في الأمن والأمان، وذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما فتح مكة ودخل دار أبي سفيان، أحب أن يتألفه ويريه كرم القدرة، «فقال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»⁽⁵⁾.

---

(١) ثمارالقلوب ، ص: ٣-٥

(٢) ثمار القلوب ص: ٣٠٤ والحديث رواه البخاري - كتاب الأذان - باب: أهل العلم والفضل أحق بالإمامة ١/ ٢٠٥-٢٠٦ ومسلم كتاب: الصلاة - باب: استخلاف الإمام إذا عرض له عذر ١/ ٣١٣.

(٣) ثمار القلوب ، ص: ٦٢٤ والحديث رواه البخاري - كتاب :الجهاد - باب : الجنة تحت بارقة السيوف ٣/ ٢٨٣.

(٤) رواه الترمذي - كتاب الزهد - باب : ماجاء في هوان الدنيا ٦/ ٦١١ وقال : هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه. وانظر ثمار القلوب ص: ٥٩٥.

(٥) ثمار القلوب ص: ٥١٩ والحديث رواه مسلم - كتاب : الجهاد والسير - باب : فتح مكة ٣/ ١٤٠٥ -١٤٠٧ ضمن حديث طويل وأبو داود - كتاب : الخراج- باب : ما جاء في خبر مكة ٣/ ١٦٢.

سادساً : عرض وتحليل لطائفة من أمثال الحديث

(أولاً) : أمثال الدعوة الإسلامية

١ - عن أبي موسى عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ [١] والعشب الكثير، وكان منها أجادب [٢] أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت طائفة أخرى إنما هي قيعان [٣] لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[٤].

- **التمثيل في الحديث:**

شبه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الناس وتفاوتهم في تقبل رسالته بالأرض في اختلاف تقبلها للماء والانتفاع به. ووجه الشبه: عموم الفائدة النازلة من السماء في كل من الهدي الإلهي والمطر.

- **حول معنى الحديث:**

كما يهبط المطر على الأرض الجرداء فيمنحها الحياة يهبط الهدي الإلهي على العقول المظلمة بالجهل، فيبعث فيها روح الإيمان ونور العلم، وفي هذا الحديث يعرض الرسول -صلى الله عليه وسلم- بأسلوب التشبيه والتمثيل اختلاف مواقف الناس في قبول ما بعث به من الهدى والعلم فيجعل المؤمنين صنفين أولهما: ناس سمعوا فاستجابوا واهتدوا، ثم صاروا دعاة يقتدى بهم،

---

(١) الكلأ: العشب الرطب. وقيل: العشب رطبه ويابسه (لسان العرب ١/ ١٤٨).

(٢) اجادب : صلاب الأرض التي تمسك الماء فلا تشربه سريعاً (المرجع السابق ١/ ٢٥٦)

(٣) قيعان: جمع قاع ما استوى من الأرض وصلب ولم يكن فيه نبات (المرجع السابق ٨/ ٣٠٤)

(٤) رواه البخاري - كتاب: العلم - باب: فضل من عَلِمَ وعَلّم ١/ ٣٤ ومسلم - كتاب: الفضائل - باب: بيان مثل ما بعث النبي صلى الله عليه وسلم من الهدي والعلم ٤/ ١٧٨٧ -١٧٨٨.

ويستضاء بنورهم، وهؤلاء مثلهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بالأرض الطيّبة التي أمسكت الماء فشربت ثم أخرجت شتى صنوف النبات، وعم خيرها ونفعها العباد. والثاني: ناس ليس لهم أفهام ثاقبة، ولا رسوخ في العلم، لكنهم حفظوا ما تلقوا من الهدي الإلهي، ونقلوه إلى غيرهم فنفعوا بما بلغهم، وهؤلاء كالأرض التي لا تنتفع بالماء لنفسها، ولكن تحبسه لينتفع به غيرها، وقد استوجبوا بهذا الحفظ والنقل دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم- لهم حيث يقول: «نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه»(١) ثم عبر صلى الله عليه وسلم تعبيراً بيّن حقيقة ما تم على يد الطائفتين من نفع وخير فقال: «فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به». وأما من يسمع الهدي الإلهي، ولا يستجيب له ولا ينتفع به ولا ينقله لغيره فهو بمنزلة الأرض السبخة التي لا تستفيد بالماء لنفسها، ولا تحبسه لينتفع به غيرها وعبر صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء بقوله: «ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» وهذا الاختلاف والتنوع الذي ذكره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليس بغريب على الناس، بل هو من فطرتهم ، فقد جعله الله سمة عامة في المخلوقات، فقال: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود. ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك﴾(٢)

٢- عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم- يقول: «إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد(٣) ناراً فلما أضاءت ما حوله(٤) جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل الرجل يَزَعُهن(٥)

---

(١) رواه الترمذي كتاب: العلم باب: في الحث على تبليغ السماع ٧/٤١٦ وقال: حديث حسن.

(٢) سورة فاطر الآيتان :٢٧ ، ٢٨

(٣) استوقد : بمعنى أوقد ، وزيادة السين والتاء للإشارة إلى أنه سعى في طلب ما توقد به النار (فتح الباري ٦/ ٤٦٤)

(٤) أضاءت ما حوله: أي أنارت والضمير للذي أوقد النار- وحول الشيء جانبه الذي يمكن أن ينتقل إليه وسمي بذلك إشارة إلى الدوران ومنه قيل للعام حول.

(٥) يزعهن: يدفعهن.

ويغلبنه فيقتحمن(١) فيها، فأنا آخذ بحُجَزكم(٢) عن النار(٣) وأنتم تقتحمون فيها»(٤).

- التمثيل في الحديث:

في الحديث تشبيه تهافت أصحاب الشهوات في المعاصي، التي تكون سبباً في الوقوع في النار بتهافت الفراش بالوقوع في النار اتباعاً لشهواتها، وتشبيه تحذير النبي -صلى الله عليه وسلم- العصاة من تعدي حدود الله بمحاولة صاحب النار دفع الفراش عنها. ووجه الشبه بين الناس والفراش اتباع الهوى وضعف التميز وحرص كل من الطائفتين على هلاك نفسه، والجامع بين النبي -صلى الله عليه وسلم- والرجل حرص كل منهما على نجاة من هو حريص على إهلاك نفسه.

- حول معنى الحديث:

في هذا المثل تصوير بليغ رائع لحرصه -صلى الله عليه وسلم- على هداية الناس، ومبالغته في زجرهم عن الإقدام على المعاصي مع حرصهم على الوقوع فيها وإعراضهم عن النصح. ويشبه -صلى الله عليه وسلم- حاله هذه مع الناس بحال رجل أوقد ناراً، فانجذبت الفراشات نحوها والرجل يمنعها، ويحول بينها وبين الوقوع في النار، لكن جهالتها وحماقتها تدفعها إلى أن تلقي بنفسها فيها متفلتة ممن يحول دون اندفاعها إليها. وفي بيان صورة حرصه -صلى الله عليه وسلم- على نجاة أمته يقول (فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها) ويبين الشريف الرضي ما في هذا القول من بلاغة فيقول: في هذا الكلام مجاز وذلك أن المراد به أنه صلى الله عليه وسلم يبالغ في زجر

---

(١) فيقتحمن فيها: أي يدخلن وأصله من القحم وهو الإقدام والوقوع في الأمور الشاقة من غير تثبت.

(٢) بحجركم: جمع حجزة وهي مقعد الإزار.

(٣) عن النار: أي من المعاصي التي تكون سبباً لدخول النار فوضع المسبب وهو النار موضع السبب وهي الأعمال التي تؤدي إلى النار (انظر الشرح السابق للمفردات في فتح الباري ١١/٣١٨).

(٤) رواه البخاري - كتاب: الرقاق- باب: الانتهاء عن المعاصي ٢٣٨/٧ ، ومسلم - كتاب: الفضائل- باب: شفقة النبي -صلى الله عليه وسلم- على أمته ٤/١٧٨٩.

أمته عن التقحم في المعاصي، والارتكاس في المضال فشبه ذلك بإمساك الرجل بحجزة صاحبه إذا كاد أن يسقط في مهواة، ليتماسك بإمساكه، وينجو بعد إشفاقه ، فلما شبه إحدى الحالتين بالأخرى أجرى، عليها الاسم على سبيل المجاز، وحسن أن يقول عليه الصلاة والسلام: إنني آخذ بحجزكم عن النار، ومراده عن الأعمال المؤدية إلى دخول النار، لأن السبب للشيء جار مجرى نفس الشيء، ومما يبين أن المراد ذلك أنهم لم يكونوا في حال سماعهم لهذا الخطاب متهافتين في النار، وإنما كانوا في الأعمال التي يستحقون بها عذاب النار(١) .

فليحذر الإنسان من عاقبة اتباع الهوى، والانبهار ببريق الملذات، بلا بصيرة، والاندفاع في طغيان الشهوات، دون تدبر للنتائج، وإلا كان أحط من الفراش التي بهرها النار، فاندفعت إليها فكان هلاكها.

٣- عن أبي موسى قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :«مثلي ومثل ما بعثني الله كمثل رجل أتى قوماً فقال: رأيت الجيش بعينَيَّ وإني أنا النذير العريان(٢) فالنجاء النجاء(٣) فأطاعته طائفة فأدلجوا(٤) على مهلهم فنجوا، وكذبته طائفة فصبّحهم(٥) الجيش فاجتاحهم»(٦) .

- حول معنى الحديث:

هذا الحديث العظيم البليغ يصور لنا رأفة النبي -صلى الله عليه وسلم-

---

(١) المجازات النبوية ص: ٨١-٨٢

(٢) النذير العريان: قال النووي أصل هذا المثل ان الرجل إذا اراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيداً منهم ليخبرهم بما دهمهم وأكثر ما يفعل هذا طليعة القوم ورقيبهم وإنما يفعل ذلك لأنه أبين للناظر وأغرب وأشنع منظراً وأبلغ في استحثاثهم للتأهب للعدو (صحيح مسلم بشرح النووي ٤/ ٤٨)

(٣) النجاء النجاء: أي اطلبوا النجاء بأن تسرعوا الهرب.

(٤) ادلجوا : ساروا أول الليل أو ساروا الليل كله.

(٥) فصبّحهم: أتاهم صباحاً.

(٦) اجتاحهم: أي استأصلهم والاسم الجائحة وهي الهلاك والحديث رواه البخاري - كتاب: الرقاق - باب: الانتهاء عن المعاصي ٧/ ٢٣٨ ومسلم -كتاب: الفضائل - باب : شفقته صلى الله عليه وسلم- على أمته ٤/ ١٧٨٨-١٧٨٩ .

البالغة بأمته، وشفقته الحانية عليهم من خلال صورة مالوفة عند القوم، تتمثل في رجل قد تأكد بالمشاهدة قدوم جيش يريد اقتحام الديار، فأسرع لإنذار قومه حرصاً منه على نجاتهم، وإمعاناً في استشارة انتباههم، بادر فخلع ثيابه ملوحاً بها إليهم، حتى يطلبوا النجاة من تلك الغارة، ومع وجود الدلائل والقرائن التي تؤكد صدق هذا النذير، إلا أن الناس انقسموا أمام إنذاره إلى طائفتين، كانقسامهم أمام دعوة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى فريقين. فأما الطائفة الأولى فصدقوه، واستجابوا للنصيحة، وسارعوا إلى الرحيل، منطلقين على مهل، حتى استقروا في ملجأ يعصمهم من عيون الجيش، فتحققت لهم النجاة. وهذه الطائفة شأنها شأن المؤمنين، الذين استجابوا لله ولرسوله، فآواهم الله إلى رحمته، وعصمهم من الكفر والضلال، ووقاهم عذاب الجحيم. وأما الطائفة الثانية، فكذبوه ولم يقبلوا تحذيره ولا إنذاره، فاجتاحهم جيش العدو، ونكلّ بهم وذلك شأن المكذبين بالله ورسوله، الذين أنكروا الرسالة، وضلوا عن سبيل الله، فحق عليهم العذاب وباءوا بالذل والخسران والشقاء.

إن الرسول -صلى الله عليه وسلم- كما صوره هذا الحديث نذير محبٌ لقومه، حريص على مصلحتهم، يبصرهم بعواقب ما غاب عنهم، ويحذرهم من أخطاره، وقد بلغ من حرصه -صلى الله عليه وسلم- على هداية قومه، أنه كاد أن يهلك نفسه جزعاً على انصرافهم عما يدعوهم إليه، قال تعالى: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾(١) إنه نذير يحذر من اتباع الهوى، ومن عبادة غير الله، فمن أعرض وتولى فهو الظالم الخاسر لنفسه ولأهله الذين ساروا على دربه: ﴿قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين﴾(٢) ومن صدق وآمن فقد ضمن لنفسه الفوز في الدنيا والآخرة ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾(٣).

---

(١) سورة الكهف آية : ٦.
(٢) سورة الزمر آية : ١٥.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٨٥.

(ثانياً) : أمثال فضائل الأعمال

١ - عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان(١) من حديد من ثديهما إلى تراقيهما (٢). فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت(٣) أو وفرت(٤) على جلده حتى تخفي بنانه (٥) وتعفو أثره(٦). وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها ولا تتسع»(٧).

- التمثيل في الحديث:

هذا مثل ضربه النبي -صلى الله عليه وسلم- للبخيل والمتصدق، فشبههما برجلين أراد كل واحد منهما أن يلبس درعاً يستتر به من سلاح عدوه. فأدخل كل منهما درعه من جهة راسه، وعالجها لتنزل على جسمه. فأما المنفق، فلبسه بسهوله وستر جميع بدنه، وأما البخيل، فضاق عليه وأصبح كمن غلت يده إلى عنقه كلما أراد أن ينزله على جسمه اجتمع في عنقه فلزم ترقوته. والمراد أن الجواد إذا همّ بالصدقة انفسح لها صدره وطابت نفسه، فتوسعت في الإنفاق، والبخيل إذا حدث نفسه بالصدقة ضاق صدره وانقبضت يداه(٨).

ووجه الشبه في الأول السهولة والاتساع والحماية، وفي الثاني الضيق والصعوبة.

---

(١) الجبة: ثوب مخصوص ولا مانع من إطلاقه على الدرع وروي: جُنتان والجُنة في الأصل الحصن وسميت بها الدرع لأنها تحصن صاحبها.

(٢) تراقيهما: جمع ترقوه. وهما العظمان المشرفان بين ثغرة النحر والعاتق (لسان العرب ١٠/ ٣٢)

(٣) سبغت: امتدت وغطت.

(٤) أو وفرت شك من الراوي من الوفور: أي كملت.

(٥) تخفي بنانه: أي تستر أصابعه.

(٦) تعفو أثره: أي تستر خطايا صاحبها كما يغطي الثوب الذي يجر على الأرض أثر صاحبه إذا مشى بمرور الذيل عليه (انظر شرح المفردات في فتح الباري ٣/ ٣٠٦).

(٧) رواه البخاري - كتاب: الزكاة - باب: مثل المتصدق والبخيل ٢/ ٤٤٣ ومسلم - كتاب: الزكاة- باب: مثل المنفق والبخيل ١/ ٧٠٨.

(٨) فتح الباري ٣/ ٣٠٦

- حول معنى الحديث:

المال في نظر الإسلام ليس غاية في ذاته، وإنما هو وسيلة من وسائل تبادل المنافع، وقضاء الحوائج، وهو طريق التراحم والتواصل بين الناس، وما بأيدينا منه ليس ملكاً لنا على الحقيقة، بل هو ملكنا على سبيل التجوز، فهو عارية مستردة ودين واجب القضاء، أما مالكه فهو الله، ونحن مستخلفون فيه، ليرى الله ماذا نصنع به، فإما أحسنا وإما أسأنا، قال الله تعالى: ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير﴾ (١). ولكل إنسان في الإنفاق من المال قدر معين، سواء كان كريماً أم بخيلاً. أما البخيل فيبقى في إنفاقه في حدود الضرورة، ولا يجاوزها إلى غيرها، فلا يجود بشيء من ماله، وقد يعظم هذا البخل حتى يكون على نفسه فيحرمها من كل شيء، إلا مما لابد منه، وهو في هذه الحالة محكوم بنفس شحيحة، وإن طال به الأمر اعتاد مثل هذا اللون من التقتير والبقاء فيه. ولنا أن نتصور هذا الإنسان البخيل عارياً، إلا من جبة لا تستر من جسمه إلا قدراً يسيراً، ويبقى كله عارياً عيوبه معروضة على كل إنسان تلفت نظر الغادي والرائح. وأما الكريم ، فإنه ينفق ويتعود الإنفاق، فلا يستطيع العيش بدونه، وكلما أنفق، سبغت عليه الجبة حتى تغطي جسمه، وتعفو أثره، فهو يشعر بسعادة لا توصف. إنه حر يحرك يديه كيفما شاء، ويمشي في الطريق مستور العورة، لا يرى أحد منه إلا تلك الجبة التي سبغت عليه، بسبب الإنفاق فأخفت كل عيوبه.

إن البذل والعطاء دليل على إيمان صاحبه، وعلى حبه لله ولرسوله، حيث آثر رضاهما على المال الذي فطر على حبه (٢)، ومن فضل الله أن الصدقة لا تنقص من المال، بل إنها تجعله مباركاً وتكون السبب في نمائه، وقد دلت على ذلك آيات من كتاب الله، وأحاديث من سنة رسوله .. مثل قوله تعالى: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾ (٣) وقوله صلى الله عليه وسلم: «ما نقصت صدقة من مال» (٤) وفي الآخرة يجزى صاحبها الجزاء

---

(١) سورة الحديد آية : ٧.

(٢) التصوير الفني في الحديث النبوي ص: ٣٥٣.

(٣) سورة سبأ آية: ٣٩.

(٤) رواه مسلم -كتاب: البر والصلة- باب: استحباب العفو والتواضع ٤/ ٢٠٠١.

الأوفى، قال تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى. وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى﴾ (١) كما أن الصدقة تقي صاحبها العثرات، وتمحو عنه السيئات وتدفع عنه الهلاك، وحتى تكون الصدقة مقبولة عند الله لابد وأن:

- تكون من مال طيب لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإذا قبلها ضاعفها أضعافاً كثيرة، قال تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾(٢).

- وأن تبرأ من المن والأذى والرياء، قال تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (٣) ويقول: ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس﴾(٤).

- كما أن على المتصدق أن يحرص على كتمان الصدقة لأنه علامة من علامات الإخلاص والصدق وابتغاء مرضاة الله، وفيه أيضاً توفير لكرامة الإنسان المحتاج الذي اضطر لأخذ الصدقة، قال تعالى: ﴿إن تبدوا الصدقات فنعماً هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾(٥).

أما البخل فهو خلق ممقوت ومن أمراض النفس المهلكة التي تعود على صاحبها بالضرر والخسران والفضيحة في الدنيا والآخرة، فضلاً عن أن البركة تنزع من ماله فلا يزيد ولا ينمو ولا يجني من وراء ذلك غير الحسرة والندامة، قال تعالى: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾(٦) فعلى المسلم أن يتقي الله فيما استخلفه فيه فيعطي منه حقه، وينفع به عباد الله، وليعلم أن ما ينفقه

---

(١) سورة الليل: الآيات ٥ ، ٦ ، ٧.
(٢) سورة البقرة: ٢٦١.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٦٢.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٦٤.
(٥) سورة البقرة آية : ٢٧١.
(٦) سورة آل عمران آية: ١٨٠ .

هو ماله على الحقيقة إذ هو الذي يدخر له، أما ما يحبسه فهو مال وارثه، يقول صلى الله عليه وسلم: «يقول العبد مالي مالي. إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب، وتاركه للناس»(١)

٢- عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً ما تقول ذلك(٢) يبقي من درنه؟ (٣) قالوا: لا يبقي من درنه شيئاً، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا»(٤).

- التمثيل في الحديث:

في الحديث تشبيه الصلوات الخمس في تطهيرها المسلم من الذنوب بالماء الجاري في تنظيفه البدن من الأوساخ. ووجه الشبه: التنظيف وإزالة الأقذار والأذى.

قال ابن العربي: وجه التمثيل أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه ويطهره الماء الكثير فكذلك الصلوات الخمس تطهر العبد عن أقذار الذنوب حتى لا يبقى له ذنب إلا أسقطته. وفائدة التمثيل: التأكيد وجعل المعقول كالمحسوس ليستقر في الأذهان وكان يمكن أن يقول الصحابة لا في إجابتهم على سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنهم قالوا: (لا يبقي من درنه شيئاً) وأعادوا هذا اللفظ للتأكيد والمبالغة في نفي الدرن(٥).

- حول معنى الحديث:

الصلاة عمود الدين ومفتاح الجنة، وخير الأعمال وأول ما يحاسب عليه

---

(١) رواه مسلم - كتاب: الزهد والرقائق ٤/ ٢٢٧٣ وقوله: فاقتنى: أي ادخر لآخرته.

(٢) ما تقول ذلك: أي ما تقول أيها السامع في ذلك.

(٣) الدرن: الوسخ.

(٤) رواه البخاري - كتاب: مواقيت الصلاة - باب: الصلوات الخمس كفارة ١/ ١٦٧، ومسلم كتاب: المساجد ومواضع الصلاة - باب: المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا ١/ ٤٦٢ -٤٦٣

(٥) فتح الباري: ٢/ ١١، ١٢.

المؤمن يوم القيامة، جعلها الله على المؤمنين كتاباً موقوتاً وكررها خمس مرات في اليوم ليتطهر بها المسلم من غفلات قلبه وأدران خطاياه. يقول -صلى الله عليه وسلم- : «من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطوتاه أحداهما تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة» (١) وفي حديث آخر يصور -صلى الله عليه وسلم- المعاصي ناراً تحرق صاحبها والصلاة تطفىء وتغسل فيقول: «تحترقون وتحترقون فإذا صليتم الصبح غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم الظهر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم المغرب غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم العشاء غسلتها ثم تنامون فلا يكتب عليكم حتى تستيقظوا» (٢). إن المعاصي التي يقع فيها الناس تحرقهم وتهلكهم وربما لا يحسون بذلك وهم في دوامة الحياة ساهون لاهون، وفي صلاتهم ووقوفهم بين يدي ربهم فرصة عظيمة لإطفاء تلك النار واتقائها، والصلاة إنما تكفر من سيئات من أدى حقها وأكمل خشوعها، ووقف بين يدي ربه مفرغاً قلبه من هموم الدنيا وشواغل الحياة، أما من أداها خالية من الشعور والإحساس لم تخفف عنه أثقاله وذنوبه لأنه لم يقبل على الله بقلبه فلم يقبل الله عليه.

إن حياتنا فيها الشهوات والمغريات والمصالح والمنافع والنفس والشيطان وهي صوارف عن الحق، وليس أحد بمنأى عن تأثيرها لكن المؤمن بمحافظته على الصلاة وأدائها حق الأداء يكتسب مناعة تجعله في منجاة من سلطانها، وتحفظه من الشرور والآثام وتنير له طريق الحياة وتنجيه يوم يقف أمام الرب عز وجل.

٣ - عن أبي موسى قال: قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت»(٣).

---

(١) رواه مسلم كتاب: المساجد ومواضع الصلاة- باب: المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا ١/ ٤٦٢.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٢٩٩ رواه الطبراني في الثلاثة إلا إنه موقوف في الكبير ورجال الموقوف رجال الصحيح ورجال المرفوع فيهم عاصم بن بهدله وحديثه حسن.

(٣) رواه البخاري - كتاب: الدعوات - باب : فضل ذكر الله ٧/ ٢١٦ ومسلم -

- التمثيل في الحديث:

في الحديث تشبيه الذاكر ربه بالحي، والغافل عن ذكره بالميت، قال ابن حجر: شبه الذاكر بالحي الذي ظاهره متزين بنور الحياة وباطنه بنور المعرفة وغير الذاكر ظاهره عاطل وباطنه عاطل. وقيل: موقع التشبيه بالحي والميت لما في الحي من النفع لمن يواليه والضر لمن يعاديه وليس ذلك في الميت(١).

- حول معنى الحديث:

الذكر حياة للقلب وغذاء للروح يصل العبد بربه، ويوثق الرابطة بينه وبين خالقه فيشعر بلذة العبادة فيظل سعيداً مرتاح البال لا يشعر بشقاء الحياة لأنه في ذكر دائم لله: قلبه مستغرق في طاعته ومراقبته في كل حال. هذا القلب الذاكر الحي لا حظ للشيطان فيه لجأ إلى رب العالمين وأوى إلى حصن حصين حفظه من غواية الشياطين وتولاه برعايته وتوفيقه ونصره. وقد جاء في الحديث أن الإنسان لا يستطيع أن يحرز نفسه من الشيطان، إلا بذكر الله يقول صلى الله عليه وسلم: «إن الله أمر يحيى بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل. . . ومنها: وآمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله»(٢). أما القلب الغافل عن الله فهو قلب ميت لا حياة فيه، تسكنه الشياطين وتتكاثف فيه الظلمات، نسي الله فنسيه وأشقاه في معاشه ومعاده. من أجل هذا أمر الله المؤمنين بكثرة الذكر فقال: ﴿ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾(٣) ووعدهم بالمغفرة

كتاب صلاة المسافرين- باب: استحباب صلاة النافلة في البيت ١/ ٥٣٩ ولفظه: «مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت» والمراد بالذكر: الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها مثل: التسبيح والحمد والإستغفار ونحو ذلك. ويطلق الذكر أيضاً على المواظبة على الأعمال التي ندب إليها الشرع كتلاوة القرآن وقراءة الحديث ومدارسة العلم والتنفل بالصلاة (انظر فتح الباري ١١/ ٢٠٩)

(١) فتح الباري ١١/ ٢١٠ ، ٢١١.

(٢) رواه الترمذي في حديث طويل كتاب: الأمثال - باب: مثل الصلاة والصيام والصدقة ٨/ ١٦٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) سورة الأحزاب، آية : ٤١.

والأجر العظيم عليه فقال: ﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ (١) ونهاهم عن الانشغال عن ذكره حتى ولو كان بأغلى شيء يحرصون عليه وهو المال والبنون، فقال: ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ (٢) وشعائر الإسلام كلها وسائل من وسائل ذكر الله ففي الصلاة ذكر، قال الله تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾ (٣) ، وفي الحج تكرر الأمر بذكر الله في أكثر من آية قال تعالى: ﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾(٤) وقال: ﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً﴾(٥) ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: «إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله»(٦).

وذكر الله لا يقتصر على الشعائر التعبدية، بل يستوعب الحياة كلها فيشمل كل نوع من أنواع الطاعة، وقد جاء في الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يذكر الله على كل أحيانه، والأحاديث في فضل الذكر والذاكرين كثيرة. سأل رجل من الصحابة رسول الله عن شيء يتمسك به بعد الفرائض ويواظب عليه لأن طرق الخير كثيرة وتشعبت عليه فقال له: (لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله)(٧) فمن عود لسانه ذكر الله صانه عن الاشتغال بالباطل، واللغو ومن يبس لسانه عن ذكر الله ترطب بكل لغو وفحش. ورتب -صلى الله عليه وسلم- على الذكر من العطاء والفضل ما لم يرتب على غيره من الأعمال فقال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب

---

(١) سورة الأحزاب، آية : ٣٥.

(٢) سورة المنافقون، آية : ٩.

(٣) سورة العنكبوت، آية : ٤٥ .

(٤) سورة البقرة، آية: ١٩٨ .

(٥) سورة البقرة، آية : ٢٠٠

(٦) رواه الترمذي - كتاب: الحج- باب : كيف ترمى الجمار ٣/٦٤٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٧) رواه الترمذي - كتاب: الدعوات - باب: ما جاء في فضل الذكر ٩/ ٣١٤ -٣١٥ - وقال : هذا حديث حسن غريب.

وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه»(١). وأما مجالس الذكر فيحيط بأهلها الملائكة وتتنزل عليهم السكينة والوقار ويذكرهم الله عند الملائكة مباهاة وافتخاراً بهم، يقول صلى الله عليه وسلم: «لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»(٢) ويسعد من يجالس هؤلاء الأتقياء فلا يناله شقاء ولا بلاء وإن لم يشاركهم الذكر فقد جاء في حديث أبي هريرة «يقول ملك من الملائكة فيهم -أي الذاكرين- فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم»(٣).

فما أسعد المسلم حين يتعلق قلبه بحب الرحمن ويلهج لسانه بذكر اسم الجليل في كل صباح ومساء، بل في كل حين وآن ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب﴾(٤)

(ثالثاً) : أمثال الزهد :

١ - عن عبدالله بن عمر قال: أخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمنكبي(٥) فقال: « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وكان عبدالله يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك(٦).

- التمثيل في الحديث:

في الحديث تشبيهان: الأول: تشبيه المؤمن المستحضر دائماً في نفسه أن

---

(١) رواه البخاري - كتاب: الدعوات - باب: فضل التهليل ٧/ ٢١٤.

(٢) رواه مسلم - كتاب: الذكر والدعاء - باب: الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٤/ ٢٠٧٤.

(٣) رواه البخاري في حديث طويل - كتاب : الدعوات - باب: فضل ذكر الله ٧/ ٢١٦.

(٤) سورة الرعد آية : ٢٨.

(٥) المنكب: مجتمع رأس الكتف والعضد (لسان العرب ١/ ٧٧١).

(٦) رواه البخاري - كتاب: الرقاق - باب: كن في الدنيا كأنك غريب ٧/ ٢١٩.

الدنيا فانية وأن إقامته فيها مؤقتة منتهية بالموت والانتقال إلى الدار الآخرة بالغريب الذي يعيش في غير بلده مترقباً دائماً لحظة عودته إلى بلده ووجه الشبه بينهما: عدم تعلق قلب كل منهما بالمكان الذي يعيش فيه. والثاني: تشبيه المؤمن المجد في عبادته وطاعته بعابر السبيل المجد في سيره ليلاً ونهاراً حتى يبلغ غايته. ووجه الشبه بينهما: التقلل والتخفف من مؤن الحياة، فكما أن عابر السبيل لا يحمل معه أكثر مما يبلغه إلى غاية سفره، كذلك المؤمن لا يأخذ من الدنيا إلا ما يعينه على طاعة ربه.

- حول معنى الحديث:

في هذه الوصية الجامعة يدعو النبي -صلى الله عليه وسلم - المؤمن أن يكون في الدنيا على حالين غريب أو عابر سبيل، قال الطيبي: أو هنا ليست للشك، بل للتخيير والاحسن أن تكون بمعنى بل فشبه الناسك السالك بالغريب الذي ليس له مسكن يأويه ثم ترقى واضرب عنه إلى عابر السبيل لأن الغريب قد يسكن في بلد الغربة بخلاف عابر السبيل القاصد لبلد شائع وبينهما أودية مردية ومفاوز مهلكة وقطاع طرق فإن من شأنه أن لا يقيم لحظة كما أن تعلقات عابر السبيل أقل من تعلقات الغريب المقيم(١).

إن في دعوة المؤمن إلى التشبه بالغريب حثاً له على عدم الركون إلى الدنيا واتخاذها وطناً وعلى الا تحدثه نفسه بالبقاء فيها، بل يجعل إقامته في الدنيا ليقضي حاجته وجهازه للرجوع إلى وطنه، كما لا تستأثر دار الغربة بالغريب ولا يعلق قلبه بشيء منها ولا تنسيه بلده مهما ابتعد عنه. والاغتراب يحث صاحبه على أن يغتنم الوقت، ويستثمر الجهد والطاقة أحسن استثمار، ويكون أكثر همة ونشاطاً. فالغريب عادة يكون قليل الممتلكات في غربته إذ يحرص على أن يدخر ويحصل ما يستطيع نقله وحمله إلى أهله وبلده عند العودة، وهذه الأشياء تمثل بالنسبة للمؤمن المشبه بالغريب بالباقيات الصالحات، وفي دعوة المؤمن إلى التشبه بعابر السبيل الذي تقل حاجته إلى مؤن الحياة حث بليغ على الزهد في الدنيا وعلى الا يأخذ المؤمن منها إلا ما يعينه على الفوز بالآخرة

---

(١) فتح الباري : ١١/ ٢٣٤

ويترك ما يعيقه عن ذلك كعابر السبيل الذي يقتصر على الضروريات من المأكل والمشرب والراحلة التي تبلغه غايته. فنرى المؤمن من خلال تشبيهه بعابر السبيل قد أخذ زاده من الدنيا وجد في سعيه دون كلل أو سأم متحلياً بالصبر على الطاعة وعن المعصية من أجل الوصول إلى هدفه الأسمى.

وأما قول ابن عمر إذا أمسيت فلا تنتظر . . . إلخ فحث للمسلم على أن يحس باستمرار أنه في كل لحظة يقترب من نهاية رحلته في الحياة. إنه في رحلة حياته يعلم كم مضى من عمره ولكن لا يعلم كم بقي من حياته فليسارع إلى فعل الخيرات ويدخر من الأعمال الصالحة ومن طاعة الله وهو يقدر قبل أن يأتي الغد وهو ضعيف عاجز أو ميت لا يستطيع أن يفعل شيئاً فيصل إلى المعاد بغير زاد. يقول -صلى الله عليه وسلم-: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك»(١) فهناك عوائق ومصائب تفجأ الإنسان كالمرض والهرم والفقر والكوارث والفتن، فلا يستطيع معها فعل شيء من الأعمال الصالحة وحينئذ لا ينفع الندم. وقد زجر الله عباده عن الغفلة والتقصير لئلا يتحسروا بعد فوات الأوان، فقال:﴿وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين. ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون﴾(٢)

وحذر -صلى الله عليه وسلم- أمته من هذه العوارض، فقال: بادروا بالأعمال سبعاً هل تُنظرون إلا إلى فقر منسٍ، أو غنى مطغٍ، أو مرض مفسد، أو هرم مفند (٣) ، أو موت مجهز، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر»(٤) فليعي كل إنسان هذه النصيحة الغالية من رسول الهدى، وليقصر أمله في الدنيا ولا يتخذها وطناً ومسكناً، وليكن فيها كأنه

---

(١) رواه الحاكم: كتاب الفتن: ٤/ ٣٤١ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) سورة المنافقون، الآيتان ١٠ ، ١١.

(٣) مفند: الفند: الخرف وإنكار العقل من الهرم أو المرض (لسان العرب ٣/ ٣٣٨).

(٤) رواه الترمذي - كتاب: الزهد - باب: ما جاء في المبادرة بالعمل ٦/ ٥٩٢ -٥٩٣ وقال : حديث غريب حسن.

على جناح سفر يهيىء جهازه للرحيل.

٢ - عن عبدالله بن مسعود قال: «خط النبي -صلى الله عليه وسلم خطاً مربعاً، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال: هذا الإنسان وهذا أجله محيط به -أو قد أحاط به- وهذا الذي هو خارج أمله (١) وهذه الخطط الصغار الأعراض(٢) فإن أخطأه هذا نهشه(٣) هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا».

- حول معنى الحديث:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع أساليب متعددة لتقريب المعنى إلى أذهان المخاطبين وتنبيههم إلى ما قد يغيب عنهم من الحقائق بالمثل، أو التشبيه، أو القصة، أو السؤال والحوار، أو الرسم كما في هذا الحديث الذي رسم فيه -صلى الله عليه وسلم- بيده الشريفة خطوطاً ثم أوضحها بقوله وإشارته. ووصف ابن مسعود الخط الأول بأنه مربع ووصف الثاني بأنه يبدأ من داخل المربع في وسطه ويمتد خارجاً منه والخطوط الأخرى وصفها بأنها صغيرة ومكانها إلى جانب الخط الممتد خارج المربع، وأشار -صلى الله عليه وسلم- إلى الخطوط التي رسمها إشارات أربع على سبيل التمثيل فأشار في المرة الأولى إلى الخط الذي في الوسط قائلاً : هذا الإنسان، وفي المرة الثانية إلى المربع قائلاً : وهذا أجله محيط به، والإشارة الثالثة إلى الجزء الممتد خارج المربع قائلاً: وهذا الذي هو خارج أمله، وهذا يفيد أن أجل الإنسان أقرب إليه من أمله وهو محيط به كإحاطة المربع بالخط الذي في الوسط فلا مهرب له منه، والإشارة الرابعة كانت إلى الخطوط الصغيرة وتمثل الأعراض.

والعَرَض: هو ما يصيب الإنسان من مرض أو فقر أو غير ذلك. والإنسان إن سلم من أحد هذه الأعراض أصابه غيره بسوء وإن لم يصبه منها شيء فلن يسلم من مباغتة أجله الذي لا يتأخر عن موعده ساعة ولا يحتاج

---

(١) الأمل: رجاء ما تحبه النفس من طول عمر وزيادة غني.

(٢) الأعراض: الآفات العارضة للإنسان من مرض وغيره.

(٣) نهشه: أي أصابه، والحديث رواه البخاري - كتاب: الرقاق - باب: الأمل وطوله ٧/ ٢١٩-٢٢٠ والرامهرمزي في الأمثال ص : ١٠٨-١٠٩.

إلى أسباب كما قال تعالى: ﴿إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (١) ومع أن الإنسان يعلم أن لا مفر له من الموت إلا أنه طويل الأمل في هذه الحياة، بل لا يوجد لأمله حدٌ كلما عاش فترة امتد أمله إلى ما بعدها، وإلى هذه الحقيقة يشير قوله -صلى الله عليه وسلم-: «لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين في حب الدنيا، وطول الأمل»(٢) فكلما أحس بدنو أجله اشتد حبه وتعلقه بالدنيا والأمل فيها. ولا يعني هذا ذم الأمل مطلقاً فالأمل مطلوب، بل لولاه ما شرع أحد في عمل من أعمال الدنيا، والمذموم منه هو ما يكون استرسالاً في أمور دنيوية لأن الشأن في هذه الآمال أنها تنسي صاحبها الآخرة وتبعده عن الله فيقسو قلبه بالانصراف عن الطاعة ونسيان الموت والعقاب والثواب، وأهوال الآخرة، كما قال تعالى: ﴿فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾(٣) فالإنسان وإن جبل على حب الدنيا وطول الأمل إلا أنه مأمور بمجاهدة النفس في ذلك ليمتثل لما أمر به الله من الطاعة، وينزجر عما نهى عنه من المعصية. وحقيقة استحضار الموت لا يعني أن يعيش الإنسان يائساً من الحياة محروماً من الأمل، بل من حقه أن يملأ نفسه بالأمل، ولكن يتخير من الآمال ما ينفعه في دينه ودنياه ويصل حياته بآخرته.

إن تمثيل الإنسان والأمل والأجل والأعراض بخطوط اتصل بعضها ببعض يرشد المسلم أن يعيش حياته في موازنة بين أمل لا ينسيه الآخرة، وأجل يذكره بالله ولا ييئسه حياته الحاضرة.

٣ - عن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسوق داخلاً من بعض العالية والناس كَنَفَتَه(٤) ، فمر بجدي أسَكَّ (٥) ميت. فأخذ بأذنه ثم قال: «أيكم يحب أنَّ هذا له بدرهم؟» فقالوا: «ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به. قال: «فإنه لكم». قالوا: والله لو كان حياً ، كان عيباً فيه، لأنه

---

(١) سورة يونس، آية : ٤٩.

(٢) رواه البخاري - كتاب: الرقاق: باب: من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر ٧/ ٢٢٠.

(٣) سورة الحديد آية : ١٦.

(٤) الكنف: جانب الشيء وكنفه: أي جانبه (لسان العرب ٩/ ٣٠٨).

(٥) أسَكّ: أي مقطوع الأذنين (لسان العرب ١٠/ ٤٤٠).

أسك فكيف وهو ميت. فقال: «فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم»⁽¹⁾.

- التمثيل في الحديث:

في الحديث تشبيه الدنيا بجدي أسك ميت ووجه الشبه: ضآلة الدنيا وحقارتها وهوانها على الله كهوان هذا الحيوان الميت على كل من ينظر إليه.

- حول معنى الحديث:

كان من منهجه -صلى الله عليه وسلم- أنه يغتنم المواقف والأحداث المثيرة فيستفيد منها في إثارة الانتباه والمشاعر والوجدان، وبهذا تقع الموعظة في النفوس أعظم موقع وتبلغ في التأثير أبعد مدى، وما ضربه النبي -صلى الله عليه وسلم- مثلاً في هذا الحديث من هذا القبيل، حيث أورده في السوق والناس مجتمعون على جانبيه يطلبون حوائج الدنيا فهم حينئذ في أمس الحاجة إلى تلك الموعظة حتى لا تلهيهم التجارة والبيع عن ذكر الله وخاصة أن السوق مظنة وقوع كثير من المخالفات الشرعية، ففيه من يروج لسلعته بالأيمان الكاذبة، وفي مثل هذه اليمين يقول -صلى الله عليه وسلم- «الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبيع» ⁽²⁾ ، وفي السوق من يطفف في الكيل والميزان وهؤلاء الذين توعدهم الله بقوله: ﴿ويل للمطففين. الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون. وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون. ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون. ليوم عظيم. يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾⁽³⁾ لذا كان -صلى الله عليه وسلم- يتعهد التجار في الأسواق فيعظهم بما يجعلهم يراقبون الله في بيعهم. وكان من أبلغ تلك المواعظ هذا المثل الذي ذكره بمرأى ومسمع من التجار وسط السوق يبين فيه ضآلة الدنيا وحقارتها على الله من خلال مشهد واقعي وحوار أداره بينه وبين أصحابه إذ عرض عليهم حيواناً ميتاً بثمن زهيد فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء فعرضه عليهم بلا شيء وكأنه يساومهم في أخذه وقبوله فأكدوا زهدهم فيه وبعد أن وصل معهم إلى هذا التقويم لهذا الجدي ضرب

---

(1) رواه مسلم -كتاب :الزهد ٤/ ٢٢٧٢.

(2) رواه البخاري- كتاب: البيوع - باب: يمحق الله الربا ويربي الصدقات٣/ ١٧.

(3) سورة المطففين ،الآيات: ١- ٦.

المثل للدنيا وهو يؤكد كلامه بالقسم ويشير إلى ذلك الحيوان ويقول: «فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم» أي أن الدنيا بكل ما فيها من متع لا تساوي شيئاً عند الله.

وقد كثر في القرآن بيان هذه الحقيقة يقول تعالى: ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾ (١)، ويقول: وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾(٢) وعُنى النبي -صلى الله عليه وسلم- ببيان قبح الدنيا وهوانها على الله ومن الأحاديث التي رويت عنه في ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم-: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع»(٣) وروى الإمام احمد بسنده أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال للضحاك بن سفيان: «ياضحاك ما طعامك؟» قال: اللحم واللبن، قال: «ثم يصير إلى ماذا؟» قال: إلى ما قد علمت قال: «فإن الله تبارك وتعالى ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا». (٤)

وأمر آخر استهدفه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من ضرب هذا المثل وهو التحذير من التكالب على الدنيا والانغماس في شهواتها وملذاتها فمن الناس من أخذ الدنيا في غير وجهها واستعملها في غير وجهها فصارت أكبر همه، بها يرضى، وبها يغضب، ولها يوالي وعليها يعادي وهؤلاء هم أهل اللهو واللعب والزينة والتكاثر والتفاخر، ولا شك أن من يسلك هذا المسلك لن يتورع أن يقتحم أي طريق يحقق له إشباع غرائزه غير عابيء إذا كان هذا الطريق حلالاً أم حراماً. ويقص علينا القرآن الكريم من أخبار الذين ألهاهم التكالب على حطام الدنيا ليبين لنا سوء عاقبتهم كصاحب الجنتين الذي تفاخر بهما على صاحبه قائلاً: ﴿أنا أكثر منك مالاً وأعز نفرا، ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً. وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى

---

(١) سورة الأعلى الأيتان: ١٦، ١٧.

(٢) سورة العنكبوت، آية : ٦٤.

(٣) رواه مسلم- كتاب: الجنة وصفة نعيمها - باب: فناء الدنيا ٤/ ٢١٩٣

(٤) رواه أحمد ٣/ ٤٥٢.

ربي لأجدن خيراً منها منقلباً﴾ (١) ، فسرعان ما حل به الجزاء العادل ولقي عاقبة كفره بنعمة ربه ﴿فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول ياليتني لم أشرك بربي أحدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا﴾(٢)

وذم الدنيا وتصويرها بصورة مهينة لا يعني الدعوة إلى الإعراض عنها تماماً وإلى نبذها وعدم الالتفات إليها فتلك رهبانية حرمها الإسلام، وذلك أن الله خلق الإنسان من روح ومادة وجعل لكل منهما مطالب وخصائص، وجاءت الشريعة الإسلامية لتحقق التكامل بين مطالب الروح والجسد وتلبي حاجات العقل والقلب وتوازن بين مصالح الدنيا والآخرة. فالإسلام لا يحرم على المسلم طيبات الحياة ومتعها الحلال مادام يتناولها عن طريقها المشروع وفي حدها المعتدل ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾(٣) ولكن يطالبه أيضاً أن يُعنى بتربية روحه ويقوي صلته بربه ويؤدي ما كُلف به من عبادة ليقوى بذلك على كبح جماح شهواته ويتمكن من السيطرة عليها ويوجهها إلى الطريق المستقيم قال تعالى: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾(٤) وبذلك يحقق التوازن بين مطالب الدنيا والآخرة.

إذا نستطيع القول إن الذم الوارد في المثل النبوي للدنيا قد اتجه إلى حطامها الزائل الذي تمخض بالمادية الفانية والانغماس فيه انغماساً يحول الإنسان إلى مخلوق مجرد من الروح والضمير والوجدان.

---

(١) سورة الكهف، الآيات: ٣٤-٣٦.
(٢) سورة الكهف، الآيتان: ٤٢ ، ٤٣ .
(٣) سورة الأعراف، آية : ٣٢.
(٤) سورة القصص، آية: ٧٧.

الخاتمة

وتشمل أهم نتائج البحث:

- إن المثل شكل من أشكال الأدب له عناصره المميزة وسماته المحددة.
- إن الأمثال العربية نقلت حكمة العرب التي عنوا بها خلاصة معرفتهم وتجربتهم في الحياة.
- تجلت روعة البيان في كلام النبي -صلى الله عليه وسلم- وتوفرت فيه الأسس والمقومات التي تميزه بخصائص سامية وسمات فريدة يدركها الفصحاء ويعيها ذوو الذوق الرفيع فيقفون عليها بشيء من التدبر والتعمق ليستخلصوا من فيض معانيها الحكم والآداب التي تصقل النفوس وتشحذ السرائر بالقيم الروحية.
- تميزت الأمثال النبوية بالوضوح وجاءت في ألفاظ سائغة وتراكيب مختلفة واتسمت بالإيجاز المتضمن للمعنى الصائب وخلت من الإسهاب الممل.
- كثيراً ما تعرض الحقائق في أمثال التمثيل على شكل تصويري يغلب عليه الوصف والتشبيه.
- تبلورت بعض الأمثال القياسية في إطار قصصي عند تقرير عاقبة معينة كما رأينا في التمثيل بالأمة مع نبيهم بالنسبة لخاتمة الأعمال على سبيل التنبيه والتحذير.
- استخدمت في كثير من الأمثال صور من البيئة بغرض تجسيد المعاني وتقريبها إلى الأذهان وجاء ذلك على وجه الخصوص في الأمثال الغيبية التي لا يستطيع الخيال رسم صورتها دون التماس الشبيه والنظير لها من المشاهد المألوف.

المراجع

١ - أسرار البلاغة في علم البيان- عبدالقاهر الجرجاني-علق عليه محمد رشيد رضا - دار المعرفة- بيروت -١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

٢ - إعجاز القرآن - أبو بكر الباقلاني- مطبوع بهامش كتاب الاتقان في علوم القرآن للسيوطي - دار الندوة الجديدة ١٣٧٠هـ ١٩٥١م.

٣ - الأدب الصغير والأدب الكبير-عبدالله بن المقفع- دار صادر - بيروت- بدون تاريخ.

٤ - الأمثال -القاسم بن سلام- تحقيق عبدالمجيد قطامش - دار المامون للتراث - دمشق- الطبعة الأولى- ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م.

٥ - الأمثال في الحديث النبوي- عبدالله بن محمد الأصبهاني- تحقيق عبدالعلي عبدالحميد حامد - الدار السلفية - الهند- الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

٦ - الأمثال في القرآن - د.محمد جابرالفياض- دار الشئون الثقافية العامة - بغداد- الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

٧ - الأمثال في القرآن - ابن قيم الجوزيه - تحقيق سعيد الخطيب - دار المعرفة - بيروت ١٩٨١م.

٨ - الأمثال من الكتاب والسنة - محمد عبدالحكيم الترمذي- تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا- مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت- الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

٩ - أمثال الحديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم - الحسن بن خلاد الرامهرمزي- علق عليه أحمد عبدالفتاح تمام - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت- الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ -١٩٨٨م.

١٠- تأويل مشكل القرآن - محمد بن عبدالله بن قتيبة - شرحه أحمد صقر - المكتبة العلمية - المدينة المنورة - الطبعة الثالثة - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١١- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي - محمد بن عبدالرحمن المباركفوري - دار الفكر- الطبعة الثالثة - ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

١٢- التلخيص في علوم البلاغة - جلال الدين القزويني- ضبطه وشرحه عبدالرحمن البرقوقي- دار الكتاب العربي- بيروت - بدون تاريخ.

١٣- تلخيص البيان في مجازات القرآن - الشريف الرضي- عالم الكتب - بيروت - الطبعة الأولى -١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

١٤- التصوير الفني في الحديث النبوي - محمد لطفي الصباغ- المكتب الإسلامي - بيروت- الطبعة الأولى -١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.

١٥- التمثيل والمحاضرة - عبدالملك بن محمد الثعالبي-تحقيق عبدالفتاح الحلو- الدار العربية للكتاب -١٩٨٣م.

١٦- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب - عبدالملك بن محمد الثعالبي- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار نهضة مصر للطبع والنشر -١٣٨٤هـ ١٩٦٥م.

١٧- الحديث النبوي من الوجهة البلاغية - د.كمال عز الدين - دار اقرا- بيروت- الطبعة الأولى- ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

١٨- الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة - حمزة بن الحسن الأصفهاني - تحقيق عبدالمجيد قطامش - دار المعارف - مصر- ١٩٧١م.

١٩- دلائل الإعجاز -عبدالقاهر الجرجاني- تعليق محمود أحمد شاكر- مكتبة الخانجي- القاهرة- بدون تاريخ.

٢٠- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة- محمد بن جعفر الكتاني- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى- ١٣٣٢هـ - الثانية١٤٠٠هـ .

٢١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- شهاب الدين الألوسي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان- بدون تاريخ.

٢٢- سنن ابن ماجه -محمد بن يزيد القزويني- تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي- المكتبة العلمية-بيروت- بدون تاريخ.

٢٣- سنن أبي داود - سليمان بن الأشعث السجستاني- مراجعة وتعليق محمد محيي الدين عبدالحميد-دار الكتب العلمية- بيروت-بدون تاريخ.

٢٤- الصحاح -إسماعيل بن محمد الجوهري-تحقيق أحمد عبدالغفور عطا- دار العلم للملايين- بيروت-الطبعة الثانية -١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٢٥- صحيح البخاري- محمد بن إسماعيل البخاري- دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى- ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٢٦- صحيح مسلم- مسلم بن الحجاج النيسابوري - تحقيق محمد فؤاد

عبدالباقي- دار إحياء الكتب العربية- الطبعة الأولى -١٣٧٥هـ ١٩٥٥م.

٢٧- صحيح مسلم بشرح النووي - يحيى بن شرف النووي، المطبعة المصرية ومكتبتها- بدون تاريخ.

٢٨- الصناعتين: الكتابة والشعر - الحسن بن عبدالله العسكري - تحقيق علي البجاوي ومحمد الحلبي- بدون تاريخ.

٢٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري- أحمد بن حجر العسقلاني- دار الفكر- بدون تاريخ.

٣٠- قاموس العادات والتعابير المصرية - أحمد أمين- مكتبة النهضة المصرية - بدون تاريخ.

٣١- القاموس المحيط - مجد الدين الفيروز آبادي- تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة- بيروت- الطبعة الثانية -١٤٠٧هـ

٣٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل -جار الله الزمخشري- دار المعرفة - بيروت- بدون تاريخ.

٣٣- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم - محمد علي التهانوي- تحقيق علي دحروج- مكتبة لبنان- الطبعة الأولى- ١٩٩٦م.

٣٤- لسان العرب - جمال الدين محمد بن منظور- دار صادر بيروت- بدون تاريخ.

٣٥- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر- ضياء الدين ابن الأثير- تحقيق د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة - دار نهضة مصر- الطبعة الأولى- ١٣٨١هـ ١٩٦٢م.

٣٦ - مجاز القرآن -معمر بن المثنى التميمي- علق عليه محمد فؤاد سزكين- مكتبة الخانجي- بدون تاريخ.

٣٧ - المجازات النبوية - الشريف الرضي- تحقيق طه محمد الزيني- مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع - القاهرة -١٣٨٧هـ -١٩٦٧م.

٣٨ - مجمع الأمثال -أحمد بن محمد الميداني- تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد- مطبعة السعادة- الطبعة الثانية -١٣٧٩هـ -١٩٥٩م.

٣٩ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد -نور الدين الهيثمي- دار الكتاب العربي- بيروت- الطبعة الثالثة -١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٤٠ - المستدرك على الصحيحين محمد عبدالله الحاكم النيسابوري- دراسة وتحقيق

مصطفى عبدالقادر عطا- دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة الأولى - ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

٤١ - المستقصي في أمثال العرب- جار الله الزمخشري- دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة الأولى -١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٤٢ - المسند - أحمد بن محمد بن حنبل- دار صادر بيروت- بدون تاريخ.

٤٣ - مسند الشهاب - محمد بن سلامة القضاعي - تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي - مؤسسة الرسالة - بيروت- الطبعة الأولى - ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م

٤٤ - المعجم الكبير- سليمان بن أحمد الطبراني- تحقيق حمدي السلفي- وزارة الأوقاف العراقية- الطبعة الثانية- بدون تاريخ.

٤٥ - معجم مقاييس اللغة -أحمد بن فارس بن زكريا - تحقيق عبدالسلام هارون- مكتبة الخانجي- مصر- الطبعة الثالثة -١٤٠٢هـ ١٩٨١م.

٤٦ - مفتاح العلوم - يوسف محمد السكاكي- ضبطه وشرحه نعيم زرزور- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى -١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٤٧ - المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة - شمس الدين السخاوي- دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة الأولى- ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٨ - موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان - نور الدين الهيثمي- تحقيق محمد عبدالرزاق حمزه - دار الكتب العلمية - بيروت- بدون تاريخ.

٤٩ - نقد النثر- قدامة بن جعفر- المكتبة العلمية- ١٤٠٠هـ ١٩٨٥م.

٥٠ - النهاية في غريب الحديث والأثر- المبارك بن محمد الجزري- تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي- المكتبة العملية - بيروت - بدون تاريخ.